2274
.86768
.352
V.1

2274.86768.352 v.1
al-Shāfi'ī
Khawātir majmū'ah

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074328038

عبد المحسن السباعي
خواطر عجوز

al-Shāfiʿī, ʿAbd al-Majīd

خواطر مجموعة

Khawāṭir majmūʿah

الجزء الأول

بقلم

عبد المجيد الشافعي

ISLAMIC ARCHIVE

2274
.86768
.352 v.1

الإهداء

إلى الأستاذ الجليل
الطاهر المبعوج

إليك يا والدي الروحي
أتقدم بهذا الكتاب
كهدية متواضعة من
ولد بار إلى والد
شفوق.

عبد المجيد السافعي

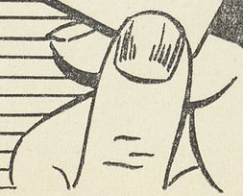

MGI 99-8-2

المقدمة

بقلم الاستاذ

احمد رضا حوحو

طلب مني الشاب لاديب عبد المجيد الشافعي ان اكتب كلمة اقدم بها (خواطره) للقراء ؛ طلب مني ذلك ، وهو يعرفني ساخطا ناقما على حركة الادب عامة ، وحركة النشر خاصة . وحملت قلمي مكرها وانا انظر الى هذه المسودات التي اعدت للطبع ، ونظرت الى صاحبها وكله اعتزاز بانتاجه ، وكله أمل فى الحياة ، فأخذتني الشفقة على هذه المسودات وعلى كاتبها ، وحدثتني نفسي بان اقوم بعمل سريع عمل حاسم وهو ان امزقها وانصح صاحبها بان يكف عن السير فى هذا الطريق الشائك المفعم بالعراقيل الى ان يبدل الله الساعة غير الساعة وان يبدل سوق الادب

الكاسدة بسوق ناجحة تروج فيها البضاعة الادبية على اختلاف الوانها ؛ وان يكتفي اليوم بعمله كبقية زملائه يعلم ما استطاع حتى اذا ما ادركه العياء والهرم انزوى في ركن من اركان الحياة وهو يتحسر على ماضيه و يندب حاضره .

مرت هذه الخواطر السوداء بنفسي واخذ بصري ينتقل بين هذه المسودات و بين صاحبها وابتسم الشاب الاديب فرحا جذلانا — وهو يجهل ما يجول في خاطري — و بدت في ابتسامته بوارق الامل والطموح وعز علي ان احطم هذا الامل الفتي ، وان اقضي على هذا النشاط المتوقد ، وان افسد على هذا الشاب متعته الوحيدة في الحياة ، فطويت المسودات وقلت له : وهو ينتظر جوابي —

— سافعل ، ساقدم كتابك للقراء ... ذكرت كلمة القراء وانا اعرف جيدا هؤلاء القراء في الجزائر ، واعرف ان

عددهم لا يبلغ الالف بين قارئى يدفعه حب الاطلاع والفضول الادبي الى قراءة كل ما تنتجه الطباعة الجزائرية وبين متفائل مشجع يدفع ثمن كل ما يقدم اليه من المطبوعات ، وتباحثت مع الشاب المؤلف في شان القراء والنشر والتشجيع فوجدته ملما بالحالة فاهما لدقائقها وهو مع كل ذلك عازم على خوض هذا المضمار . ولم يسعني الا ان اعجب بشجاعته وجرأته وتمنيت له من صميم قلبي ، النجاح والتوفيق ، وهو جدير بالتشجيع والمؤازرة جدير بالتشجيع لجرأته واقدامه على النشر وهو يعلم ان هذا الميدان شائك مفعم بالعراقيل ، وهو كذلك جدير بالتشجيع لجرأته واقدامه على اختيار موضوعات كتابه من صميم الدين والمجتمع والادب وقد حاول ان يسبغ عليها لونا من الجدة لا يخلو من فائدة ولا يخلو من طرافة ، وهي مع كل ذلك علاج لموضوعات ومشاكل

في حاجة الى كثرة العلاج وتلونه .

هذا وربما ينتظر مني القارئ حكما لهذا الكتاب او عليه فاقول له فورا ، ان ذلك ليس من شاني ولا من حقي وانما هو حق مقدس يملكه القارئ وحده ، ولكن لا يفوتني ان انبهه اننا في بداية نهضة ادبية. وكلمة تشجيع او توجيه أشد نفعا لحركتنا من كلمة تحطيم او تهديم .

قسنطينة

احمد رضا حوحو

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى القارئ الكريم

هذه مجموعة من الخواطر كانت تخطر لي في مواقف متنوعة، ومواضع متفرقة، فكنت اسرع لتقييدها فى مذكرتي، وأجعل لكل منها عنوانا فى ذاكرتي، ثم أكتب عليها ما تسعفني به قريحتي، عند ما أخلو بنفسي فى غرفتي، وكنت كلما فرغت من كتابة موضوع، أحسست براحة واطمئنان

ذلك اني كتبت جل هذه المقالات وأنا فى طور التلمذة ، والشواغل جمة ، والوقت لا يتسع لمثل اعمالي ، خصوصا وانا اذ ذاك بصدد التحضير لشهادة التحصيل. (١)

.. وكثيرا ما كانت نفسي تحدثني بترك التاليف ، فرارا من مشاق الطبع وكثرة التكاليف ، لانني كنت حديث عهد بطبع قصة ـ الطالب المنكوب ـ وفى ذمتي لصاحب المطبعة شطر الثمن المطلوب ، ولم يكن في بلادنا من يسعى فى تشجيع المؤلفين ، وتقدير جهود العاملين ، حتى كدت أرفع القلم وأطوي القرطاس ، لولا ما تذكرته من واجبات الوطن المقدس نحو الأمة والشباب ، فحملت نفسي وأرغمتها على إتمام (الجزء

---

(١) هي شهادة ينالها الطالب بعد انتهائه من التعليم الثانوي بالجامعة الزيتونية العامرة

الأول) من هذا الكتاب ، رغم ما لحقتني من جهود جسام ، وما اعترضتني من عراقيل و آلام .

لا جرم أنه ما دفعني لكتابة هذه المواضيع إلا ما رأيت عليه الامة بصفة عامة والشباب بالخصوص من تضعضع فى الاخلاق وتزعزع في العقيدة ؛ فهم يتسابقون الى الشهوات والملذات ، ويسرعون الى اقتراف الجرائم والمنكرات ، ويزدحمون على محال اللهو والمخدرات ، ويتجاهرون بالقبائح والمحرمات ؛ إذا دعوتهم الى مشروع خيري انقبضت نفوسهم ، وجعلوا أيديهم مغلولة الى أعناقهم ، واذا اريتهم صالة رقص ، او محل فسق وفجور ، كانوا من السابقين الاولين .

... فرأيت ان اجمع هذه المقالات ، وأبرزها فى كتاب (خواطر مجموعة) ليطالعها الجمهور عملا بقوله تعالى :

« وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » الآية .

وبقول صاحب الشريعة السمحة عليه أفضل الصلاة وازكى السلام :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » الحديث .

... ولما كان الكتاب مشتملا على فصول متفرقة ، ونواح متعددة رأيت ان اسلك فيه طريق التسهيل على القاري ، والتنشيط للمطالع ، مع اجتهادي التام في استعمال الأسلوب السهل لينتفع به صغار الطلاب ، ويروي ظمأ الكبار منهم .

ولذلك نهجت فيه منهجا خاصا على خلاف المعتاد من زملائي ، خصوصا فى الناحية الخلقية ، اذ عمدت فيها الى بيان تعاريف الخلال الحميدة. لتتوصل الناشئة الى مبتغاها، ثم قسمت الجزء

الأول - من هذا الكتاب إلى خمسة أقسام ، يجدها القاري النبيه مفصلة كما يلي :

(١) القسم الديني

(٢) القسم الخلقي

(٣) القسم الاجتماعي

(٤) القسم التاريخي

(٥) القسم الأدبي

وسنتبع هذه الطريقة في جميع الأجزاء القادمة إن شاء الله ، حتى يحصل النفع وتتم الفائدة ، ولم نجعل لكل قسم من هذه الأقسام جزءا يخصه ، بل اخترنا أن يكون كل جزء متضمنا لعدة فصول من كل قسم ؛ ونترك الباقي لبقية الاجزاء حسبما تخطر لنا من آراء وأفكار .

فعلى قرائنا الكرام أن يقابلونا بالتشجيع والتأييد لنبلغ المرام فى هذا الميدان

والله نرجو النفع والتوفيق ؛ والهداية إلى سبل التحقيق .

شاطودان (عمالة قسنطينة)

٢٨ جمادى الثانية ١٣٧٠ هـ

عبد المجيد ابراهيم الشافعي

حديث البحر

... ثم اعدت بصري الى البحر ، واطلقت فيه النظر ، فاستوحيت منه نواة افكاري ، وبذرة خواطري ، واستغرقت افكر في عظمة هذا الوجود الرحيب ... و ... وهذا الكائن الفسيح ... و ...

خرجت

في ليلة ساد سكونها ، و خيم ظلامها على أطراف البلاد و نواحيها و ذهبت اطلب العزلة على شاطئي البحر . و لما وقفت على حافته شعرت بعليل النسيم يترقرق على وجهي ، و شاهدت امواج البحر تندفع الى شاطئه ، ثم تعود الى الوراء ؛ فاخذتني قشعريرة تلتها رعدة من تلك الليلة التي اسدلت علي ظلامها الحالك ، و غيهبها البهيم ؛ وظللت اقدم رجلا و اؤخر اخرى ، ولا ادرى أين اتوجه ، ولا في اي مكان أنا . .

وما هي الا لحظات حتى انبعثت اشعة القمر الفضية ، و امتزجت بتلك الامواج التى يعبث بها النسيم ، فيسوقها تارة إلى حافة البحر ، و أخرى الى وسطه ، وطفقت استرجع قواى شيئا فشيئا ، حتى بدا لي أن هناك كائنا أمامي يسيب ، و لكنني ما

دريت اهو مائع مائي ؟ او نور قمرى . . . ؟ فزادني ذلك دهشة ابعدتني قليلا عن شاطئى البحر . ثم احسست كأن دافعا نفسانيا او تيارا قلبيا ، قد صيغ من شجاعة خالصة ، يحفزني الى التقدم فوثبت وثبة استرجعت بها مكانى الاول ، فبلغ صدى خرير المياه سمعي ، فاضطربت كثيرا ، وادركتني وحشة عظيمة ، وازدادت دقات قلبي ، فتجلدت ، وخشيت ان يطير قلبي من صدري ، فامسكته بكلتا يدى . . . ثم . . . ثم . . . ثم ازحت عنه الهلع والخوف ... وشغلت بصري بالنظر الى السماء ، وما زينت به من نجوم وكواكب ، حتى أطمأن خاطرى ، وسكن قلبي .

ثم اعدت بصري الى البحر ، وأطلت فيه النظر ، فاستوحيت منه نواة افكاري وبذرة خواطرى ، واستغرقت افكر في عظمة هذا الوجود الرحيب . . . و . . . و هذا الكائن الفسيح . . . و

. . . وهذا العالم الواسع النواحي المترامى الاطراف ، الذي ما انفك يغزو التراب بقوة امواجه ، ويريد ان يغمر البسيطة من شدة غيظه بوفرة مياهه . . وشرعت استعرض اخطاره التي طالما قضى بها على حياة كثير من المخلوقات ، واستحضرت في مخيلتي ما كنت درسته فى التاريخ من عظماء جعلوه طريقهم فكانوا طعمة للاسماك ، ومن سفن مفعمة بالبضائع المستوردة من بلاد الى بلاد كان مصير الجميع ان انزلهم الى غوره البعيد .

ثم تذكرت حادثة لا زلت حديث عهد بدراستى لها على الاستاد الفقيد — محمد بوشربية — بالجامعة الزيتونية العامرة وهي عائلة الفيلسوف الاجتماعى الكبير — ابن خلدون — حينما ذهب الى مصر ، وبعث يستقدمها اليه ، فكانت طعمة الحيتان فاقشعر جلدى لها ، وقام شعر راسى لهو لها ؛ وساعتئذ ادركت

سر قول — طارق بن زياد — لجيشه الذى غزا به اسبانيا :
« العدو امامكم والبحر وراءكم » .

ثم طويت صفحة تلك الصور المفزعة ، ومرت بخاطرى منافع البحر للناس ، وذخره العظيم الذى يعينهم به على الحياة ، ويساعدهم بواسطته على كفاف العيش ، فكثيرا ما رأيت ؛ وحكى لى ان اناسا بلغ بهم الفقر منتهاه ؛ واهلكتهم المسغبة وكادوا يقضون نحبهم لولا ان الله الهم بعضهم الى صيد الاسماك وبيعها ؛ والبعض الاخر الى الغوص في اعماق البحار ؛ واستخراج اللؤلؤ والمرجان وكريم الاحجار ؛ وبذلك صاروا اغنياء لا يطاولون . . .

وبينما أنا فى تلك الافكار المتنوعة والخواطر المتشتتة ؛ اذا بزوبعة شديدة من الريح تسوق موجة كبيرة ؛ وتدفع بها

خارج الشاطئ؛ فاخذتني هزة هائلة ، ولذت بالفرار من المكان وبعد برهة هدأت العواصف وسكن هيجان البحر ؛ فعدت الى مكاني ووقفت وقفة الحائر المدهوش ضائع الامل ؛ قد فقد حاجته في ذلك الوجود العميق ؛ ولم يستطع ان يغوص امواجه ويسترجع ضالته المنشودة . عندئذ خيل الي ان البحر يناديني نداء الخل الودود ؛ او الرقيق القلب على البائس المحدود ؛ بصوت حنين يعرب عما يضمره فؤاده له من شفقة وعطف ؛ وشرع يسالني ولكن ما انا براد له جوابا فجعل يسال ويجيب عن نفسه بنفسه ، فقال بصوته الرخيم العذب :

ايها الشاب النبيل لقد زرتنا في وقت لم نعهد فيه الزائرين . . ؟

ولا نخالك الا غريبا قد ساقتك الاقدار الى هذه البلاد

ولم تجد مستقرا تاوى اليه ؛ اذا توارت الشمس بالحجاب ؛ ورجع الناس الى اماكنهم ؛ ولازمت الطيور اوكارها ؛ والحيوانات اجحارها ؛ وبقيت وحدك تقودك الاحلام حيث شاءت ؛ فلا صديق اليه تشكو بثك ؛ ولا حبيب اليه تنهى جذلك، ولا خليل تفضى اليه بما انطوى عليه ضميرك من آلام متزايدة ؛ ونكبات متضاعفة، او تجد منه سلوى تخفف عنك نوائبك واكدارك . ما اشقى الغرباء فى بلاد قست قلوب اهلها حتى لكأنها حجارة صماء لا تسمع انين البؤساء ؛ ولا تلين لزفرات التعساء ! فيالها من مصيبة دهماء . . ! ويالها من شقاوة عظمى . . !

لا لا ؛ لا اظنك غريبا عنها ، ولا احسبها تعدل عن رحمة الغرباء بل انها لا شد عطفا على اولئك المنكوبين الذين لا حول لهم

ولا حيلة ؛ وهي احق بمساعدتهم ؛ واجدر بمعاونتهم . . .

ومما يبدو لي أنك نشأت فيها ورضعت من درها وتغذيت بالبانها ، وتربعت في حجرها الحريرى الانيق حتى اصبحت من شبابها الذين تعلق عليهم آمالها ، فجعلت تفكر فى مستقبلها ؛ وتتدبر السبل الناجعة التى تتوصل بها الى انقاذها من الهوة السحيقة التى وقعت فيها ؛ فاخترت ان تفر من طرقها المكتظة ببنى الانسان ومن ضجيج شوارع المدينة الذى يشوش الفكر ويقلق راحة المفكر ، فخطر ببالك ان تنعزل بهذا المكان الذى يهرع اليه شاعر متدبر اوكاتب متبصر ؛ ولاريب انك احد هذين وسيحلولك فيه التفكير وتستعين بمنظره الرائق ؛ وطبيعته المزخرفة على حلمك اللذيذ ، وشعورك الحساس شان كل نفس تواقة تصبو الى اصلاح المجتمع ، وديدن كل عزيمة قولاذية ترنو الى الحياة الحرة السعيدة . . .

— ١ —

القسم الديني

قارئى النبيه تقرأ فى هذا القسم الفصلين التاليين :

الزكاة — الحج

وفيهما تجد شرحا لحكمة مشروعيتهما وفوائدهما

الدينية والدنيوية والدعوة للتمسك بالدين.

والحض على العمل لصالح الاسلام والمسلمين.

الزكاة

الا فلتعلموا يا اغنياءنا انكم مسؤولون امام

الله والتاريخ عن عدم اعطائكم نصيبا

من اموالكم للفقراء والمساكين...

واعلموا ان مصير الشعوب الاسلامية

على ايديكم ... وانتم الذين تعزون الاسلام

ان شئتم او تخذلونه..

إذا

التفتنا بافكارنا الى الزكاة ؛ وتدبرنا مليا حكمة مشروعيتها ؛ الفينا لها مغازى عظيمة ومقاصد جليلة لانها لم تفرض عبثا ولا كانت سبيلا لاكل اموال الناس بالباطل .

فالله قد من بارزاقه على عباده ؛ ولكنه فضل بعضهم على بعض فى الرزق ، فجعل منهم الغني الموسر والفقير المعسر ؛ وما ذلك الا اختبارا للذين ملكهم خيراته واباح لهم التصرف فيها كيفما شاءوا ؛ لكن على حد لا يتجاوزونه وبين لهم نهج الرشاد وانار لهم طريق السداد ، واوجب عليهم قدرا معينا يسلمونه فى كل عام الى من حرموا منها ، وقد ادخر لهم عنده ثوابا عظيما يجدونه (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم)

ولو تدبر الغني المنافع التى تحصل له من وراء اعطائه الزكاة لوجد انه امتلك القلوب باحسانه ، وصيرها متعلقة به ؛ تهتف بكرمه وتتمدح بيده البيضاء وانه لو امتثل اغنياء بلادنا لما امروا به لما وجد فقير بيننا او متسول يبسط كفيه الى كل غاد ورائح ؛ يفصح عما فى ضميره بتلك الكلمات المحزنة التى تتفتت لها الاكباد ، وتتمزق لها الاحشاء ، وتتأثر عند سماعها قوي كل ذي لب وعاطفة .

ولو استقام كل ذي مال عندنا وادى ما فرض عليه في كل سنة لما تضعضع المجتمع الاسلامي ، ولظل يكافح لتعزيز مجده ويناضل كل من يروم خذلانه ؛ ويدوس شرفه وسيادته . . و . . و . . ولكن لما طغى اغنياؤنا واضاعوا الدين واتبعوا الشهوات ومنعوا الزكوات وتركوا الواجبات ؛ سلط الله على

المسلمين اعداءهم يغتصبون منهم اموالهم ، ويعيثون فيهم فسادا سلبا ونهبا ، فاصبحوا كرة بين اقدام اللاعبين وصارت اوطانهم هدفا للطامعين وسوادهم فقراء في بلدانهم ، غرباء في اوطانهم ؛ يتضورون جوعا ويبكون جزعا وما دروا ان المسؤلية عليهم لا على احد سواهم .

اذا كانت الزكاة ذات منافع عظيمة وكانت قيمتها في الدين الاسلامي رفيعة ؛ ومزيتها فائقة ، وكان اجرها جزيلا لمن لم يتهاون في تاديتها واخرجها متى حصل له النصاب ، وكان عذاب ما نعيها اليما وعقابهم شديدا اذ بين الله مصيرهم بقوله :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا

ما كنتم تكنزون » الاية . هذا مصير مانعيها .

واما من اعطى زكاته يوم وجوبها فان ذلك الصنف الذي اعطيت منه يكثر بفضل الله ويزداد عدده ويقيه الله من الافات والجوائح ؛ ويحفظه من شر العاديات وكر الحادثات . .

الا فليتنبه أغنياؤنا ويفيقوا من غفوتهم العميقة ، ويتداركوا انفسهم ويصرفوا الزكاة الى اربابها قبل ان يحق عليهم العذاب وينادى المنادي عليهم بالويل والخراب .

الا فارفعوا رؤوسكم وطهروا نفوسكم ؛ واخلصوا ايمانكم واعلموا ان الموت أمامكم والقبر مصيركم وحساب الله غير بعيد وتزودوا للاخرة بالامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه وكونوا من المؤمنين بقوله : « والاخرة خير وأبقى

الاية » .

الا فلتعلموا ياأغنياءنا انكم مسئولون امام الله والتاريخ عن عدم اعطائكم نصيبا من اموالكم للفقراء والمساكين ؛ واعلموا ان مصير الشعوب الاسلامية على ايديكم ؛ وانتم الذين تعزون الاسلام ان شئتم او تخذلونه . .

الا فاعلموا انكم بمنعكم اداء الزكاة قد قضيتم على معنويات الاسلام من وجوه :

(١) من الوجهة الدينية — فقد تركتم ركنا عظيما من اركان الاسلام تجب محاربتكم لاجله حتى ترجعوا عن غيكم ؛ كما فعل ابو بكر الصديق رضي الله عنه باهل الردة اذ قال لما منعوا الزكاة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله

لقاتلتهم عليه . . .

(٢) من الوجهة الاجتماعية — فقد كثر فقراؤنا وظهر عارنا ، وانكشف حالنا ؛ وصار المسلمون في مشارق الارض ومغاربها متشتتين يضرب بهم المثل في الذلة والمهانة ، وانحلت عراهم وتفككت وحدتهم ؛ وظلوا مشردين ؛ يتذللون للاجنبي ويعملون له بابخس ثمن ويتنافسون على خدمته ، ويتسابقون الى نيل رضاه ؛ ويسعد الواحد منهم كشف له سيده الاجنبي عن ثغره الذي ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب .

(٣) من الوجهة الثقافية — لقد شاءت الاقدار ان يتفرق المسلمون وان يكون اكثرهم تحت سيطرة الاجنبي وان تفلت السلطة من ايديهم وان لايكون لبعضهم بيت مال تحت دولة

منهم تسهر على شؤونهم وتتفقد احوالهم وتلم شعثهم وتنشئ المدارس والكليات لتثقيف ابنائهم وتلقينهم لغتهم السامية ؛ ودينهم الحنيف ؛ وتعليمهم العلوم الكونية التي تقعدهم في المستوى بين الامم وتجمع الزكاة من اربابها وتبذلها في مصارفها التي بينها الله بقوله :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » الاية .

شاءت الايام ان نفقد هذه العزة وان يقعد اغنياؤنا عن مامورياتهم وان نرى ابناءنا في حال تبكي العيون ؛ وتدمي القلوب : بين فاقد للتربية والاخلاق وماسح للاحذية وايتام فى الانهج والشوارع مشردين لاماوى يلوذون به ولا مدرسة

تجمعهم في فصولها ؛ فتربيهم على الاخلاق الفاضلة وترفع كابوس الجهل عنهم حتى يكونوا في زمن قريب رجالا عاملين ولمشعل الثقافة حاملين وعلى الدين ذائدين وبالقومية الاسلامية مفتخرين وبالشعوب العربية معتزين .

(٤) من الوجهة المالية — لاشك ان اغنياءنا الممسكين عن أداء الزكاة انما حملهم على ذلك ظنهم ان مايعطونه من الزكاة ينقص من اموالهم وما علموا ان اهمال اداء الزكاة يؤدي باموالهم الى التلف والخسران المبين اذ ان الله وعدهم بالزيادة اذا امتثلوا لاوامره وشكروه على نعمه (لئن شكرتم لازيدنكم) وكثيرا ما راينا اغنياء اصبحوا فقراء بعد زمن قصير ولما سالناهم . هل كانوا يؤدون الزكاة . قالوا : لا . بندامة وحسرة (ولات ساعة مندم) .

(٥) من الوجهة الشعورية — كثيرا ما راينا اغنياءنا يحرصون على وفرة الاموال ؛ ويعملون لانمائها فى كل آن وحين حتى تربى فيهم البخل ؛ ونما فيهم الحسد وكثر بينهم الشقاق والنفاق واشتد بينهم التباغض والتناحر واصبح كل يضن بنفقة على عياله وظل يعمل لا ليستفيد ويسعى بكل جهد وانعدم منه الشعور نحو اهله ووطنه وجيرانه ويكد طويلا ثم يحاسب نفسه فلا يحصل الا القليل فيفور الدم فى اعراقه ويغلي في اعضائه اذا وقف امامه فقير طرده واذا دعي لاعانة مشروع خيري لوى وجهه وادبر وجحد نعم الله فحق عليه قوله :

« ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » .

وليس الذنب ذنب الاغنياء ولا الوزر عليهم فحسب ؛ بل

هناك من يشاركونهم في حمل هذه التبعة المرهقة لكواهلهم ولعلنا نلتمس لاغنيائنا عذرا يخفف عنهم الوطأة نوعا ما . اذ ان الجهل البغيض قد بسط عليهم جناحه ، ورماهم في طريق سيل جارف ، يسوقهم تياره الى النهاية المجهولة لديهم الى اعماق البحار.

وهكذا ضلوا السبيل وفقدوا الدليل ، وصاروا يصدقون بالخزعبلات ويؤمنون بالمشعوذين الذين يدعون الولاية وعلم المغيبات وانهم ينفعون من تذلل لهم وسار طوع اوامرهم . ويضرون كل من حدثته نفسه بعدم الخضوع والخشوع . . ،

وهكذا استولى اولئك الدجالون على هؤلاء الجهلة الذين تضعضع الايمان وزل من قلوبهم اوكاد ، وصاروا يدعون بانهم ائمة الدين وحماته ، وان الزكاة حق من حقوقهم ، لايسوغ لاحد اخذها سواهم ، وظلوا يفتون بانها لا تكفي صاحبها مهما سلمها في

مشروع خيري : من بناء كلية ، او انشاء مستشفى او تشييد ماوى او قراءة علوم ، ووصلوا الى درجة اصبحوا فيها يحببون للناس الجهل ، ويبغضونهم في العلم ، ويدعونهم للتمسك بهم ، واعطائهم الزكاة ، والاعتقاد بانهم اصحاب خير وصلاح ، والانزواء تحت ظلهم الظليل .

الا تبا لكم ايها الذين قتلتم الارواح ، وفتنتم العقول ، وافسدتم العقائد فانتم المجرمون . . . وانتم الذين أعنتم الاستعمار وثبتم اقدامه في هذه البلاد .

ولكن الذنب الاكبر يتحمله ارباب الدين ، وخلفاء النبي العظيم ، فهم الذين حملوا الامانة ولم يؤدوها ، وهم الذين يرون المنكر فيتركونه ، وهم الذين في وسعهم ان ينقذوا الامة من هذه الهوة السحيقة ، وهذا الغور البعيد الذي سقطت فيه ،

فلم تستطع الخروج منه .

فاليكم يارجال الدين نرفع صوتنا ، ونصرخ ونستغيث ، يالعلماء لهذه الامة المسكينة ! فمدوا ايديكم للاصلاح من حالها وخذوا من اغنيائها الزكاة ، واعينوا فقراءها . . . واعلموا ابناءها . . . حتى تعيدوا للاسلام مجده الخالد . . وتريحه التليد . . . وسيروا على قبس القرآن يهديكم صراطا سويا . . وامتثلوا لقول بارئكم :

« خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » الاية .

تنجحوا وتفوزوا بالنصر والسعادة . (١)

---

(١) سبق نشر هذا الموضوع في جريدة (البصائر) الغراء

هذا هو الاساس الأصلي الذي فرض من

اجله الحج فهل حجاجنا عاملون بهذا المعنى

ام هم عنه غافلون ؟

لقد كان لتشريع الحج مقصد جليل سام ومغزى راق عظيم ، ومرمى جميل شريف ؛ اذ به تجتمع وفود الامة الاسلامية القادمة من المشرق والمغرب كل سنة ، فى ذلك المكان الطاهر المقدس ، ويستعرض كل احوال المسلمين فى ناحيته ومجتمعاتهم ، وهيآتهم امام اولى الالباب الراجحة ، والعقول النيرة والافكار الحصيفة ؛ ليشيروا عليه باصلاح ما فسد ، والاعتناء بما يعود على ناحيته بالنفع والسداد . وبذلك يسري التعارف بين الاقطار المسلمة جميعها ، ويمد كل منها يدا المساعدة الى الاخر ، فيتكون التعاضد والتكاتف ، وتنفجر ينابيع الحب من قلوب المؤمنين على بعضهم .

وبهذا يتبين لنا ان الحج ليس الغرض منه اداء الفريضة فحسب ؛ بل الحكمة فيه فوق ذلك ان تجتمع الامة الاسلامية

وتتدبر شؤونها ، وتسطر لسعادتها المنهج الناجع المفيد ، بعد تمحيص الاراء المتمخضة ، والافكار المتولدة واستخراج المهم الذي يجب على كل شعب مسلم ان يتبعه ، ويعمل بما اتفقت عليه آراء فطاحل الرجال اهل الذكاء الوقاد ، واصحاب التفكير الناضج والتدبير الناجع ، والاخلاص الحق ؛ الذين يجهدون نفوسهم في استنتاج الوسائل التي تقوى الرابطة الاسلامية ، حتى يرجع المسلمون الى بلدانهم ، يعتبر كل منهم اخاه عضوا من جسده لا ينفصم ، يشتكي لسقمه ، ويفرح لسلامته ، ويشاطره في سرائه وضرائه ، ويقاسمه افراحه واتراحه ويشاركه في اعماله ونتائجه ويسعى الجميع لصالح الاسلام والمسلمين ، وبذلك تجتمع اكف المسلمين ، ويظهرون لاعدائهم — بتلك الوحدة الشاملة — قوة صارمة ، وصلابة متينة يلقون بهما في قلوبهم الرعب والمهابة .

هذا هو الاساس الاصلي الذي فرض من اجله الحج ؛ فهل حجاجنا عاملون بهذا المعنى ام هم عنه غافلون ؟

وعن الالتفات اليه لاهون ؟ وعن الاعتبار به ناسون ؟ واين الاعمال التي قاموا بها ونحن نراهم في كل عام يشدون رحالهم الى الحرم الشريف ؟ واين النتائج التي ظهرت لنا من وراء تحملهم لتلك المشقات وقطعهم لتلك المسافات ؟ . ؟ . ؟

كم رأينا اناسا يتوجهون الى بيت الله فيتكلفون صرف اموال طائلة ، ثم يعودون وكانهم لم يصلوا المكان المقدس ، ولا اتعظت به نفوسهم ، ولا لان من قلوبهم ، ولا زاروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا اخذوا من ذلك عبرة ، ولا التمسوا منه موعظة ، ولا نخال رحلاتهم تلك الا مطية يتوصلون بها الى الالقاب .

وكم رأينا من حجيج قصدوا البيت الحرام فعادوا قساة القلوب ، ياتون كل منكر فظيع ، ويرتكبون اعظم الجرائم الشنعاء ويقهرون السائل واليتيم ، ويأكلون اموال الفقير والمسكين ويتلبسون بالمعاصي والموبقات ، ويفعلون المفاسد على اختلاف انواعها وتباين اشكالها . . و . . ولكانهم قد اخذوا مواثيق من الله ان لا يحاسبهم على أي ذنب اقترفوه ، وان لا يعاقبهم على اية سيئة صدرت من كل من اخذ منهم لقب — حاج —

فيا للعار . ! . ويا للمصيبة الدهماء ! ويا للفضيحة الشوهاء !

الا فليتذكر حجاجنا أن مصيبتهم ادهى ، وان مصيرهم اسوأ حالا ان لم يتلافوا انفسهم فيصلحوا ما فسد منها .

الا فليعلموا انهم ضيوف الله وزوار بيته العتيق ، وينتبهوا الى كبح جماح شهواتهم ، ولا يضلوا عن طريق الرشاد ومنهج

السداد .

الا فليفهموا ان على كل حاج واجبات لدينه . . وامته . . ولغته ، يلزمه القيام بها على اكمل وجه والا فقد باء بالخسران المبين .

ليت حجاجنا فكروا قبل ان يعقدوا العزم على الحج . . وليتهم طهروا نفوسهم من الارجاس . . وازالوا عش الشيطان الذي باض في قلوبهم وفرخ . . ليكون حجهم مقبولا ، واداؤهم لهذا الركن العظيم كاملا . اذ ان الحج يتحصل من وراء سفره للحج على فوائد جمة ، ومنافع غزيرة ؛ وهي التي عناها الله بقوله : « واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » الاية .

فمن هذه المنافع :

١) السفر — فهو يزيد الانسان صحة وقوة فى جسده، ولذلك أمر به الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: «سافروا تصحوا» الحديث.

٢) الاطلاع على احوال الامم، ودرس حياتها كما يجب؛ والنظر في عاقبة الامم الغابرة، ليكون ذلك عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن تذكر وتدبر، ولذلك يقول الله:

«أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم» الاية.

٣) التعارف بين الاقطار الاسلامية، والاتصال بين الافراد والجماعات، والتوادد بين العظماء، والتكاتف بين قاطبة المسلمين جميعهم.

٤) زيارة البيت الحرام، الذي فضله الله على كل بيت،

وجعله قبلة المؤمنين الذين يتبعون أوامر الله ، ويجتنبون نواهيه .

٥) التقرب الى الله والفوز برضوانه ، باهداء الهدايا للعائذين به من الفقراء ، ومجاوريه من المساكين الذين ينتظرونها بفارغ صبر ، ويفرحون بقدوم الحاج اليهم ، لان الله جعل رزقهم على الوافدين عليهم ، اجابة لدعاء نبيه الكريم ابراهيم عليه السلام اذ قال : « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » الاية .

٦) الصبر — فيتمرن الانسان على تحمل الاذى ، والصبر على المكاره ، واحتمال مشقة السفر ، والتعب الجسمي .

٧) السخاء — يعود الحاج من مكة المكرمة الى بلده ،

وقلبه مطمئن ، مملوء خشوعا و ايمانا فيلين على الفقراء و يعطف على المسكين ؛ و يخشى الله فيهم فيرجوا ثوابه و يتقي عقابه ؛ جاعلا نصب عينيه ما جاء فى الاثر (اتقوا النار و لو بشق تمرة) واننا نريد من كل حاج ان يؤدي حجا مبرورا ليكون به فى الدارين فرحا مسرورا .

— ٢ —

القسم الأخلاقي

في هذا القسم تقع عيناك أيها القارىء العزيز على الفصول الاتية :

الاعتماد على النفس — التضحية — الاخلاص

— حلم الرسول وعفوه —

ورجائى أن يكون لها وقع حسن في فؤادك ،

وتتحذى فيها حذو رسولك ، وتهجر السقطات التي تحكمت

فيك ، لتعيد سيرة اسلافك ، وتكون افضل مقتدى لسواك .

الاعتماد على النفس

فاعتمد ايها الشاب المسلم على نفسك ... وحذار ان تترك زمامك بيد غيرك ... واجعل رائدك العمل لمستقبل وطنك ...

ولتكن يقظا لخدعات اذناب العدو من امتك... وحاذر نفسك من كيد حاسديك ... ولا تعبا بالمثبطين لعزمك من مبغضيك ...

الاعتماد

على النفس فضيلة في الانسان يتخلق بها في صغره ، ويعيش بها بين احضان أبويه في نشأته ، فتصبح من غرائزه في شبابه وكهولته .

فالولد يشب على ما رباه عليه ابواه ، فان مرناه على اعتماده على نفسه ؛ وتركاه يعمل بمفرده ، استطاع بعد أن يكون رجلا — معتمدا على نفسه — فى حياته ؛ وأن هما ربياه على الفتور وسايراه على الدلال وتسرب اليه الضعف والانحلال ، فانه يعجز عن حمل عبء نفسه بنفسه ، ويتطلب غيره ليحمله عنه ، ويدب الكسل في جسده ؛ ويسري الفشل فى عروقه ؛ ولا يدرك حقيقة الحياة حتى اذا اختبر فى أية مهمة عجز كل العجز .

وليس الذنب الا على أبويه فقد كان عليهما ان يختبراه في صغره ويمرناه ؛ حتى يعتمد على نفسه اذا بلغ سن الشباب وطور

الكهولة ، ويستطيع أن يخوض غمار الحياة ويتحمل الواجبات على عاتقه ويسير عائلته على صراط سوى ، لتصل الى الهدف المنشود وتظفر بالغاية المرجوة ؛ وتكون فى المستوى اللائق بها فى التمدن والثقافة ، ومهما قدر على تكاليف المجتمع الصغير استطاع ان يقود المجتمع الكبير ؛ ويوجهه الى ما فيه الخير والصلاح واصبح يصمد اليه فى أموره ويتشوق اليه لياخذ بيده ؛ وينقذه من الاخطار التي وقع فيها .

فاذا ما تحلى شخص بهذه الفضيلة ، اصبحت له قيمة كبرى فى وسطه الذي يعيش فيه ؛ واضحى ذا رأي سديد وكلمة مسموعة بين افراد أمته؛ وظلت الالسن تهتف بذكره ؛ وتتمدح برجولته وما اكتسب هذه المنزلة السامية الا باعتماده على نفسه — لان في الاعتماد على النفس دروسا قيمة فى تجارب الحياة وعجم عيدانها .

فاعتمد ايها الشاب المسلم على نفسك ؛ وحذار ان تترك زمامك بيد غيرك ؛ واجعل رائدك العمل لمستقبل وطنك. ولتكن يقظا لخدعات اذناب العدو من أمتك . . وحاذر نفسك من كيد حاسديك . ولا تعبأ بالمثبطين لعزمك من مبغضيك . فانت وحدك المسئول على سعادة ابنائك و الذود عن حمى شرفك . . . ولغتك و دينك . . . . ووطنك . فاعمل بعزمك المعهود فيك . ولا تقعد فان التاريخ لك بالمرصاد . . . ولا تكن دائما معتدا بنفسك ؛ بل فلتسر — مهتديا — على ضوء آراء شيوخ مدربين ؛ ان كانوا يظهرون لك وجه الخطا و برق الصواب. و الافاستعن بالله و نفذ رأيك في أمورك . . .

ولا ريب ان كل من تخلق بهذا الخلق الحسن كان له تاثير عظيم على غيره . بل الخلق نفسه له التاثير الاكبر في الاخلاق الحميدة

فهو بمثابة الاصل لسائر الفضائل ؛ فانها تسير حيثما سار و تربض اينما ربض ؛ لانه يستولد بقية الاخلاق فى صاحبه كالتضحية و الاخلاص ؛ و الحلم . . .

فانظر ايها المسلم أن الفضائل هي اساس كل شيء ؛ و دعامة كل بيت ؛ و أوتاد كل خيمة ؛ فلتكن بها مقلدا لرسولك و سائرا على منوال نبيك ؛ و اذكر أن دينك الحنيف ؛ حثك على التخلق بالخلال الحميدة ؛ و من بينها — الاعتماد على النفس — فما لك تغافلت عنها ؟ او جهلت دينك ؟ او نسيت أنك مسلم ؟ . ؟

ألم تعلم ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان معتمدا على نفسه ؛ حينما بعث بالرسالة ؛ وكلف بتبليغها الى الناس كافة ؛ وقام ولم يرتكز على عصا ؛ وجهر بالدين الاسلامي ؛ وصدع بالحق دون أن يعتمد على احد ؛ بل اعتمد على نفسه ونشر الدعوة الى

التوحيد و تمثلت كل الاخلاق الحميدة فى شخصه صلى الله عليه وسلم ؛ فلا احسن من الاقتداء به ؛ والعمل على منهاجه .

فانتبه من غفلتك ايها المسلم ؛ واقتف آثار رسولك لئلا تهلك فتندم ؛ وكن مؤمنا حقا لتسترجع مجدك وعزتك ، وكن غيورا على بلادك وكرامتك ؛ وخذ اللب من دينك وارم بالقشور الى سواك . واجعل القرآن سراجك وبرهانك . . وطهر وطنك من اهل البدع والاضاليل ؛ و مدنك من المشعوذين والمضلين ؛ و حارب المستقاتين فى الشوراع والاسواق باسم الدين وعلم المغيبات .

فانهض أيها المؤمن الصادق وكافح عن دينك لتبلغ امانتك وانصر الله ينصرك . . كما وعدك فى قوله : « ان تنصروا الله ينصركم ؛ ويثبت أقدامكم » الاية . ولتكن مصدقا بقوله :

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم » الاية وبقوله : ولينصرن الله من ينصره » الاية . وارجع الى نفسك واسالها : لماذا بقيت ذليلا يتحكم فيك الكافر العنيد وأنت المسلم العزيز ، تجبك : ان الله قال : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » وأين الايمان ؟ وأنه قال : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فاين العزة ؟ فقدت بفقدان الايمان .

فارجوك أيها المسلم ان تعض بالنواجذ على القرآن والسنة النبوية وتجعلهما دستورك الوحيد فى حياتك ثم تعتمد على نفسك لتضمن نجاحك وسعادتك . (١)

---

(١) لقد سبق نشر هذا الموضوع فى جريدتنا (البصائر) الغراء

التضحية

فلا سبيل لك ايها الشمالي لتحي وتتحرر، الا اذا كانت التضحية غريزة فيك ... ولا يمكن ان تتجلى فيك ، الا اذا كنت تعمل لمنفعة المسلمين ، وتكافح لحياة دولة الاسلام وسعادتها ...

التضحية

صفة جليلة تصير صاحبها شريفا ممدوحا ، ومن دونها يكون حقيرا ذليلا ، وبها يكسب الانسان مجده وفخره ، ويعز دينه ولغته ، ويذود عن عرضه وكيانه ، ويحمي قومه ومن احتمى بحماه .

« ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

يهدم ... ... »

لذا كانت لها اهمية كبرى ؛ ومركزية عظمى بين الخلال الحميدة فهي اذا اتصف بها الشخص اصبحت تحفزه للدفاع بكل ما عنده من قوة وبما لديه من عزيز ؛ وصار يضحي بنفسه ونفيسه في سبيل شعبه وحيويته . .

فهو لا يرضي بتدنيس شرفه ؛ والتعدي على قوميته ودينه وهذا من اهم أنواع التضحية وأشرفها ؛ فالانسان اذا لم يتخلق

بهذه الفضيلة يستحيل ان يقدم نفسه فداء لمجتمعه ؛ ويعز عليه أن يتبرع بماله لقراءة علوم ؛ أو تاسيس كليات صناعية ؛ أو بناء مستشفيات للمرضى والمصابين ؛ أو تشييد ملاجئي للعجزة والمساكين ؛ أو تجهيز جيوش لمحاربة الاعداء وصد الطامعين. وما ذلك الا لانه لم يشب عليها حتى تكون من الشيم الطبيعية فيه ؛ ولهذا يجب على كل شخص ان يسلك الطريق الصالحة لتربية هذه الفضيلة فى نفسه، وكذلك فى ابنائه؛ ليكون منهم جيلا مستعدا لجميع الطوارئ . ومن اهمها :

(١) تكوين العادات الصالحة فى نفس الطفل منذ صغره ، وذلك موكول للاباء والمدارس ، فهم الذين يتكلفون بغرس الفضائل في قلب الولد ، ومن بينها التضحية حتى اذا كبر كانت جبلة فيه .

(٢) اقراؤهم سير المضحين الذين اشتهروا بالتضحية ويحببونهم لهم ، ويرغبونهم فى الاقتداء بهم ، كالخلفاء الراشدين وسيف الله المسلول خالد ابن الوليد، وطارق ابن زياد؛ وصلاح الدين الايوبي ، والامير عبد القادر الجزائرى ، وعبد الحميد بن باديس ، وغاندى زعيم الهند ، وامثالهم من البواسل العاملين .

(٣) ومما يعين على تربية النفس بها القدوة الصالحة ، فالشخص اذا خالط اهل الفضائل الحسنة ، وذوى الخلال الحميدة انغرست هذه الفضيلة في نفسه ، وظل يندفع الى التضحية بقلب صادق ونفس شائقة ، ولا يعظم عليه شيء يقدمه لمصلحة من مصالح المسلمين وما اسراع عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتجهيز جيش (غزوة العسرة) وأبي بكر الصديق بكل ماله ، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، الا برهان قاطع يدل على مدى

تأثير هذه الفضيلة فى نفوسهم ، وعلى منوالهم سار السلف الصالح الذى يلزمنا أن نجعله المثل الاعلى ، ولو سلكنا منهجه لما بقينا مكبلين بقيود المستبد ما يربو عن المائة والعشرين سنة ، نرزح تحت ظلمة الغاشم ، ونئن أنين الثكلى؛ ونشكو جوره واستبداده شكوى العليل المزمن ، ونبكى من جراء تعذيبه واضطهاده شأن المقعد العاجز .

فانهض أيها المسلم ، واجعل من عزمك وتضحيتك قوة تحطم بها العدو المجرم ، واعلم أن الله معك فلا تنس قوله : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » الاية .

فلا سبيل لك أيها الشمالي لتحيي وتتحرر ، الا إذا كانت التضحية غريزة فيك ، ولا يمكن أن تتجلى فيك ، الا اذا كنت

تعمل لمنفعة المسلمين ، وتناضل لحياة دولة الاسلام وسعادتها ، ويسرى معنى هذه الفضيلة فيك سريان الكهرباء في الاسلاك ، وتتجسم لك أمام عينيك كدافع جبار يحفزك الى العمل للوصول الى المجد والسيادة .

ومهما شب الانسان على التضحية فانك تراه متلهفا الى خوض المعارك وميادين الوغى؛ ليحوز مكانة الشهداء ، وعلى تضحيته تلك تترتب نتائج كثيرة منها :

(١) تحرير وطنه من براثن الوحوش الضارية

(٢) تمهيد مستقبل شباب أمته الذي كان لا حظ له فى الحياة

(٣) رفع علم شعبه بعد أن كان مقبورا مداسا ، واعتراف الامم له بالفخر والشرف

(٤) تخليد التاريخ لاعماله التي لا تمحى ولا يذهب نقشها

من اعماق القلوب ، كما ضحى الامير شكيب ارسلان بنفسه لتحرير أمته و قدمها فداء لفائدة بلاده، و ذهب بها ضحية حياة شعبه العزيز

الاخـــلاص

... فاجعل ايـها الشاب المسلم رائـــدك الاخلاص ، ولا ترجعك على اعقابـك حثالـــة شانها الشر والفساد ... ولا تـقهرك شرذمـة لا تـقنع بالحجة والبرهان ...

المشؤمة ، فيقومون بجميع ما لديهم من الحيل والخزعبلات يبتزون بها اموالـه ، ويتلذذون بما جره لهم طيشهم ومكرهم من مغنم وكسب ، وشرف موهوم ، بعنوان انهم يعملون للمجتمع ويسهرون على جلب منافعه ودفع مضاره ، حتى اذا ما حصلوا على شيء من ذلك ، انكشف للامة مستورهم وضاع ما علقته عليهم من آمال ، وبان لها انخداعها باقوالهم المعسولة واعمالهم الغير المبنية على الاخلاص .

فهؤلاء هم المنافقون الدجالون ... الذين لا يعملون لمنفعة الامة ومصلحة المجتمع كما يزعمون ... وانما يعملون لاغراضهم الشخصية ؛ وامانيهم الكاذبة وليس لفشل اعمالهم من سبب سوى ان الاخلاص لم يكن رائدهم ...

والسر في ذلك ان كل من يعمل عملا مخلصا فيه لدينه ...

ووطنه . وقوميته ... فالأمة تتبعه وتقتفي خطاه ؛ وتبذل جهودها لمعاونته حتى يصل بها الى مقاعد السؤدد والرقي .

واذا ما حبذت الأمة عمله ؛ وسايرته على ذلك ؛ وساعدته على كل مايطلبه ، يزداد عزما وثباتا ، وينشط في استنتاج ماتوجه لابرازه الى عالم الوجود ، وينتفع به الجنس البشري في حياته .

واما الذين يعملون دون اخلاص ، فلا بد ان تكون تجارتهم خاسرة ، وعملهم غير مثمر ، وتظهر خيانتهم وغدرهم بعد حين ، فتعدل الأمة عن اتباعهم والسير وراءهم فيسقطون ، ولا يستطيعون التقدم بعد ذلك .

ومثال هؤلاء كثيرون فكم رأينا من جمعيات قامت للعمل فقعدت ، واحزاب برزت فخمدت ، ومشروعات خيرية

الاخلاص

قوة باطنية كامنة في نفس صاحبها، تدفعه الى التفاني في واجباته، وتمنعه من المراوغة والنفاق وبيع الضمير، وتحمله على العمل لحياة امته سعيدة مهابة الجانب، عزيزة بقوتها وعتادها، شريفة بلغتها ومجدها، ولو ادى به الأمر الى العذاب، والى كل مكروه، وتكبر عليه الخطب ان حدثته نفسه بالرجوع في بعض اعماله؛ او الخيانة في اقواله.

. ولا جدال في ان كل ذي لب سامي وشعور حساس، وفكر ثاقب؛ يساير نا على ان الاخلاص روح العمل، ومثابته منه بمثابة الروح من الجسد، فكل عمل من الأعمال الاجتماعية .. او الاقتصادية ... لا تجنى ثمرتة الا اذا صاحبه الاخلاص، ولازمه جنبا لجنب، وهيهات ان تكون له نتائج تعود على

المجتمع بالنفع و الصلاح ، ما دام بعيدا عن الاخلاص ؛ الا ترى ايها الشاب الغيور ان العمل تعظم فوائده اذا كان وليد الاخلاص وحفيد النية الصادقة ، و شقيق العزيمة القوية . . .

و هو الذي به يتمكن الانسان من السيادة الحقة و الرئاسة الدائمة ؛ وكثيرا ما نسمع و نشاهد قوما يعملون للوطن ، ومنفعة الامة ؛ وما ذلك في الحقيقة الا اقوال زائفة ، و اباطيل يبثونها في الشعب ليحصلوا على مرغوبهم الذي جعلوه هدف اعينهم ، من تسلمهم لرئاسته ، ليتسنى لهم ان يقودوه حيثما شاءوا ، و ينفذوا فيه كل ما املته عليهم افكارهم الطائشة ، ظنا منهم انهم قبضوا على زمامه ، فلا يمكن له بعد ذلك ان يزحزحهم عن كرسي السيادة ، و الزعامة المزعومة ؛ ولم يبق له الا الاتباع و الانقياد الى اوامرهم ، والامتثال الى سيطرتهم الطاغية ، وقوانينهم

حلم الرسول وعفوه

اليس هذا هو الصفح الجميل بعينه ؟

اليس هو الحلم الحقيقي الذي لم يوجد فى غيره ؟

لا مراء

في أن سماحة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم لا تقدر درجتها ، ولا يبلغ منزلتها أي مخلوق على وجه البسيطة ، ولا يصل الى مرتبة حلمه أي انسان بلغ ما بلغ من رجحان العقل ، وحصافة الفكر وتوقد الذهن ، ونجاعة التدبير . . . ولا يجوز على ما تفوق به محمد صلى الله عليه وسلم من العفو عند القدرة ، والصفح عند القوة ، أي شخص تمخضت به أمه في أي عصر من العصور من بدء الخليقة الى نهايتها لانه الوحيد في الخلال الحميدة ، والفرد في مكارم الاخلاق على الاطلاق . وهل يستوي من ولدت معه اخلاقه الفاضلة ، والذي تلقنها وتمرن عليها بجهد وكلفة ؟

واذا أردت أيها القارئ الذكي ان تتبين اخلاق الرسول فهيا بنا نتصفح سيرته ، ونتتبع آثار دعوته في غزواته خصوصاً

نهضت فسقطت ، وما ذلك الا من عدم اخلاصها .

فاجعل ايها الشاب رائدك الاخلاص في كل امر توجهت اليه من دون تقاعس ، ولا يثنيك عليه كلام المستهترين الذين خلقوا عالة على الانسانية ، ولا ترجعك على اعقابك خيالة شأنها الشر والفساد ، ولا تقهقرك شرذمة لا تقنع بالحجة والبرهان ، ودعها في ضلالها تهيم حتى ياتيها اليقين ، وتماد في عملك فالله معك والتاريخ شهيد ، والحفظة كاتبون ، وكل امرئ بما لديه رهين .

وارجوك ان لا تبيع وجدانك بالرئاسة والاموال ، واعيذك ان لا تكون من العاملين المخلصين ، والمجاهدين الصادقين ، واجعل نصب عينيك قول بارئك :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون »

الاية وقوله :

« وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » الاية (١)

(١) هذا الموضوع سبق نشره في جريدتنا (البصائر) الغراء

وقت البعثة : من سب وشتم ، وتضييق واعتداء ، ومقاطعة وحصار .

أين هذا من الدول المتمدنة اليوم التي تتبجح بالعدل والحرية والسلام ، فهي تعتدي على الضعفاء ، وتمثل الوحشية فيهم وتبيح لعساكرها ان ياتوا ما تسوله لهم نفوسهم الدنيئة .

قد تنزه الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينهج هذا المنهج الذى لا تسلكه الا الوحوش الضارية ، فانت ترى انه فتح مكة بامان وسلام ، وسيرة منقطعة المثال ، حتى تسابق القرشيون الى اعتناق الدين افواجا ، وفى ذلك يقول الله مخاطبا له :

« إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » الاية .

وبحلمه الكريم تسنى له ان ينشر الدين فى جميع تلك الربوع

دون اكراه ، كيف لا ؟ وهو الذى يقول عن نفسه : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، وهو الذى يؤدبه الله بقوله :

« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم » الاية . ولذلك نراه يقول : « ادبنى ربى فاحسن تاديبى » .

فتح مكة الذي وعده الله فيه بالنصر المبين و الفتح العظيم ؛ اذ قال : «إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تاخر و يتم نعمته عليك و يهديك صراطا مستقيما » الاية . وقم معي جنبا لجنب كي نقتفي خطواته بالبحث والتنقيب و نقيس اعماله بغيره و سياسته بسياسة سواه ، حتى نقف على الحقيقة و نعرف الصواب ثم نستنتج تلك العبر العظيمة ، و الاثار الخالدة ، التى يجدر بكل فاتح ان ينهج منهجها ، و يتحلى بكل ما احتوت عليه من سماحة و حسن معاملة ، وحزية مطلقة وديمقراطية حقة ، وحلم عظيم وعفو جميل ، ليمكن له ان ينجح ، و يجذب القلوب ، ويفوز بالرضى من النفوس .

فقد قاد محمد صلى الله عليه وسلم جنده لفتح مكة ، تحت لواء النصر ، و راية الفوز ، ولما قرب من مكة ، ظفر افراده من

جيشه بعيون قريش ، ومن بينهم العدو اللدود للاسلام وحامل لواء الشر والحقد للمسلمين أبوسفيان ، وساقوه اليه ، فعفا عنه ، واطلق سبيله ، رغم ما قام به من اذايات له ولاتباعه من المؤمنين ؛ وكان من الواجب عاديا ان تطوى صفحته من الوجود بمجرد القبض عليه ، ولكنه صلى الله عليه وسلم عفا عما سلف .

أليس هذا هو الصفح الجميل بعينه ؟

أليس هو الحلم الحقيقي الذي لم يوجد في غيره ؟ ؟

ثم دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ، وامر مناديا ينادى بالامان وإفشاء السلام ، وان من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومنع جنده من السلب والنهب ، والتف به العرب فقال لهم : ما ترون انى فاعل بكم ، قالوا : خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ، فقال اذهبوا فانتم الطلقاء ولم يعاملهم بمثل ما عاملوه به

واجبات الشاب

... وما ترك بلادنا اليوم ترزح تحت نير المستعمر البغيض ، يستخدم ابناءها .. ويستثمر اموالها ... ويهين علماءها ... ويعذب زعماءها .. ويحتكر وظائفها ... و ... و .. الا لتقاعس ابنائها عن القيام بواجباتهم ...

يقول الناس : (الشباب عماد الامة) وذلك لما يبدو عليه من التوقد الفكرى ، والعزيمة القوية ، والسريرة الطاهرة والنشاط الحار ، تلك الخلال التى تنتج من ورائها مصالح الامة ومنافعها .

فبه تسعد الامة وتفوز بآمالها ، وبه تفتخر ويطير صيتها في انحاء العالم . بل هو نبراسها الذى تستضىء به فى الليلة الحالكة والقبس النورانى الذى تهتدى به والعرق النابض الذى يعمل لها باخلاص وقلب غيور .

فهو للامة بمثابة الروح للجسد ، فالجسد الفاقد لروحه لا يمكن أن يتحرك ويشعر ، لان حركته وشعوره قد ذهبا بذهاب الروح ، كذلك الامة اذا فقدت شبابها يستحيل ان تعد أمة من الامم الحية ، لذا كان الشباب ضروريا لكل أمة ضرورة الاسلاك للكهرباء .

— ٣ —

القسم الاجتماعي

قارئي النبيه تقرا في هذا القسم الفصول الاتية

واجبات الشباب — الصحافة — الزواج — الزنا — السفور — المرأة المسلمة في عصرها الحاضر — الجلوس في المقاهي

وقد تناولنا في هذه الفصول الحديث عن الادواء الاجتماعية ، وقد اسهبنا في شرح الطرق الناجعة التي بها يمكن اصلاح المجتمع وانقاذه من الاخطار والاوباء الفتاكة .

ولها عليه مهام ملقاة على كاهله يلزمه الاعتناء بها . وبما أنني شاب من شباب الامة الذين ترتكز عليهم ، وتتشوف الى نتائج أعمالهم التي يقدمونها اليها ، لتتحقق بانها ادركت أمانيها التي طالما انتظرتها بفارغ صبر . اعرف واجبات قد اثقلت عاتقي لانه كان من اللازم علي أن أقوم بها ، وهي :

١ — محاربة الجهل الذي خيم على الامة ، وبسط جناحه عليها ، حتى تركها في دياجير الظلام لا تدري أين تتوجه .

٢ — المحافظة على النظم والقوانين التي ترفع مستوى الشعب وتحقق العدالة الاجتماعية .

٣ — الاتجاه الى الوطن ، والعمل لمستقبله ، والذود عن كيانه ، ووقوفي جنديا للدفاع عنه ، حتى لا يستطيع أي متجبر ان يعتدي عليه ، ويلوث شرفه وعرضه ، ويستعبد ابناءه

ويصيرهم خاضعين لدستوره المشئوم .

٤ — يجب علي ان ارنو نحو الدين واللغة القومية ، اللذين هما شعار الوطني الحق ، وميزته التي بها يعد شريفا ذا عزة قعساء وهمة عالية .

هذه هي الواجبات الرئيسية الملقاة على كاهلي وعلى كواهل جميع الشباب المنتدبين لمثل هذه المهام ، لكن لا يطيق كل شاب تحمل هذه المسئوليات الا اذا كان متحليا بجميع الصفات المحمودة أو على الاقل باغلبها : يقابل العراقيل بوجه باسم وجأش رابط يتقدم الى ميدان العمل ، ويخوض معمعة الحياة بنفسه ، دون أن يتكل على غيره ، مع رجوعه في بعض أموره الى استشارة ذوي الرأي السديد والعقل السليم ، لانه وان كان عنوان النشاط والعزم والثبات ، وصاحب الشجاعة والاقدام ، فلن يستطيع أن يستقل

بنفسه فى كل أموره ، بل لا بد له من شيوخ حنكتهم التجارب يستعين على عمله بآرائهم ، والسير على منهجهم ، لما لهم من اصالة الرأي ، وجودة التفكير ، وخبرة بعواقب الامور .

فعلى الشباب أن يتمسكوا بواجباتهم ، دون تقاعس ولا تاخر ، لانهم لو تاخروا عن القيام بها لادى ذلك الى اختلال نشاط الامة ، وفتور اعصابها ، فيظهر فيها داء العجز ، وتصبح تئن انين الثكلى ، وتندب حظها من تقاعد أبنائها عن العمل ، وتظل اعناق الاعداء متطاولة نحوها ، وابصارهم طامحة اليها ، وطمعهم فيها باعثا لهم على التحفز والوثوب للاستلاء عليها ، والاستلذاذ بما لديها من اموال وثمار ، لعدم من يذود عن حماها ، وهكذا مغبة المتقاعسين عن واجباتهم .

وما ترك بلادنا اليوم ترزح تحت نير المستعمر البغيض ،

يستخدم ابناءها ، ويستثمر نتاجها . . ويهين علماءها ، ويعذب زعماءها ، ويحتكر وظائفها ، ويشوه بضائعها ؛ ويتعرض الى جميع مشاريعها ومنشآتها ، ويحجر على مؤلفيها وصحفييها من أن يصدعوا بالحق ، ويسيروا بها على المنهج القويم ، الذى تتمكن به من استرجاع سيادتها المسلوبة ، وشرفها المغصوب ، الا لتقاعس ابنائها عن القيام بواجباتهم ؛ فانظروا يا أولي الالباب وتذكروا وذكروا .

وأني أدعوك أيها الشاب المسلم الى القيام بواجباتك واحذرك من التقاعس والتواني لتكون لامتك ولدا بارا ، ولوطنك جنديا باسلا ، وعن دينك ذائدا قويا ، وللغتك معززا ناصرا ؛ وبهذا تطرح عن عاتقك حمل الواجبات الثقيل ، وتنجو من تأنيب ضميرك ، وعقاب الهك ، وحساب تاريخك . (١)

---

(١) سبق نشر هذا الموضوع فى جريدتنا (البصائر) الغراء

الصحافة

كما اتصورها

فتبا لها من صحافة ... وتبا لمديريها من مجرمي ... اذا كانت سحابة صيف انخدعت بها الامة ... وزعزعت الشباب عن مباديهم، فقذفتهم العاصفة الى الانثناء والتفرق ... فالويل لها كل الويل ..!

الصحافة

ينبوع عذب ، يتدفق من جبل شامخ ، يفساب فى قناة منسقة ، يرتوى منه رجال الامة ونساؤها ؛ وروح قوية تدب فى أجسادهم فتدفعهم الى العمل ؛ وتيار جارف يسري فى عروقهم سريان الكهرباء فى الالات الحديدية فتحركها ؛ ودافع عظيم يثير فى النفوس الحمية ويكسبها العزيمة والاخلاص ، بما تنقله لهم من أخبار ، وما تذيعه لهم من أسرار . . .

فهي سراج الامة الذى تهتدى بضوئه ، لانها العامل الوحيد والعنصر الهام ، فى نشر الثقافة وتربية الشعب تربية تسمو به الى الرقي والحضارة ، وتطير به فى سماء العمران ، وتصبو به الى قمة المجد ، حتى يتربع على مقاعد العز .

ولا ريب أنها عنوان حياة الامم ، وروح نهضتها ، وسبيل

تقدمها . . ولسان ناطق يعبر عما وصلت اليه حكوماتها من نظم جمة المنافع ، حتى تلقي فى نفوس الاعداء الرعب والفزع ، خصوصا إذا كثرت الجرائد ، وعظم عددها فى قطر من الاقطار ؛ فما هي الا مدافع موجهة الى من ينوى الاستيلاء على شعبها ، ما دامت نافعة فى خدمتها ، عاملة فى توقد العزائم ، وانارة الهمم ، مكافحة فى اظهار الحق وازهاق الباطل ، منصفة لجميع الطبقات ، صادقة فيما تنطق به ، ناقلة اخبارها من مصدر يوثق به ، وفيها يقول أمير الشعراء أحمد شوقي بك رحمه الله :

لكل زمان مضى آية * وآية هذا الزمان الصحف

لسان البلاد ونبض العباد * وكهف الحقوق وحرب الجنف

أما اذا خالفت هذا المنهج ، وركبت متن الاشاعات الكاذبة ، وظلت ترتوى من منهل عكر ، لا يهمها الا أن تبرز مسودة

بالاراجيف ، والاقوال الزائفة ، التي لا تزيد العقائد الا ضعفا وتعمد الى نشر كل ما يرد عليها لابناء الوطن ، فيتسابقون اليها (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) فيهلكون وماهم بعالمين .

فتبالها من صحافة .. وتبا لمديريها من مجرمي .. اذ كانت سحابة صيف انخدعت بها الامة ، وزعزعت الشباب عن مباديهم ، فقذفتهم العاصفة الى الانشناء والتفرق فالويل لها كل الويل . اذ حملتهم على التخلق بالاخلاق الرذيلة ، فغاض بينهم الصدق ، وانعدمت الثقة ، وبذلك تشتعل نار الحقد والضغينة في أفئدتهم على بعضهم ، ويتسرب لهم داء الانانية العضال ، فيتهدم ركن المجتمع من جميع وجوهه ، ويظل المجتمع (كرماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف) وذاك ما تريد له صحافته العاقة ، ثم يقع فريسة

بين مخالب المفترسين .

هذه هي جناية الصحافة والصحفيين ، كما هي حالتهم اليوم بشمالنا الافريقي ، والمسئولية العظمى تلقى على عاتق محرريها ومديريها بالخصوص ، فهم الذين يجب عليهم أن يعنوا عناية كبرى بصحافتهم ، وهم الذين يلزمهم أن يتدبروا ، ويجعلوا نصب اعينهم منفعة الامة والانسانية ، لانهم القابضون بزمامها ، يوجهونها أين يشاءون ؛ وعليهم أن يعلموا بعد ذلك أن صحفهم لاتجد سوقا رائجة الا إذا سخروها لجمع شتات الامة ؛ ولم شعثها ، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانوا مخلصين لاوطانهم ؛ غيورين عن حقوق مجتمعهم .

الـزواج

... ولكن وجه طرفك نحوهما بعد الاقتران ... وقس حياتهما بذي قبل ... فلا ريب انك تلفيهما قد خطوا خطوات شاسعة فى دنيا الامل والطمانينة وحياة الفضيلة والسعادة ..

إذا تدبرنا مليا حكمة الزواج ، وجدناها ترجع بالفوائد الجمة على الرجل كما أنها تعود على المرأة بمثل ذلك .

اذ أن الرجل قبل زواجه يعيش عيشة البائس الهلوع فلا يهنأ له حال ، ولا يرتاح له ضمير ، ونفسه لا يترفع بها الى ما يتطلبه منه الواجب ، وتفرضه عليه الكرامة الانسانية؛ فانت تراه كل يوم مهما بلغت درجته من الغنى والرفاهية ، ومهما علت منزلته من الرخاء والثراء ، يصب على الحياة اللعنات ، ولا يربأ بنفسه عن الدنايا والموبقات ، لما ينعكس على خياله المريض من شناعتها .

ومثل هذا تعيش المرأة قبل اقترانها ببعلها ، ولكن وجه طرفك نحوها بعد الاقتران . . وقس حياتهما بذى قبل . . فلا ريب أنك تلفيهما قد خطوا خطوات شاسعة فى دنيا الامل والطمانينة ، وحياة الفضيلة والسعادة ، فتصبح المرأة محتملة كل الجهود فى تحسين حالها

و تنظيف ثيابها ، و تنظيم سيرها ، لتحل المكانة السامية فى قلب زوجها ، كما أن الزوج يضحى مثابرا على شؤونه الحيوية ليفوز بالرضا من طرف زوجه ؛ و هكذا يظل الرجل بمثابة المرآة لزوجه ؛ و هي المرآة المصقولة له ، و بهذا يصير كل منهما مجبورا على التفكير فى مستقبل أبنائه ، ولا يطمئن إلا إذا مهد لهم السبيل ، و مرنهم على كيفية السير فيه ؛ و على هذا المنوال يسير الزوجان في كل أسرة بعيدين عن الرذائل التى من ديدنها سلب شرف الانسان و تلويث عرضه .

لذا كان الزواج من المنافع العامة التي يتحصل عليها الانسان لانه سد مانع ؛ و حجاب حاجز عن الوقوع في المعاصي و الخضوع الى ماتريده النفس من الشهوات البهيمية ، و ولوج بيوت الدعارة و الفسوق ، و دخول حانات القمار و الخمور ؛ و سلطان جبار يردعه

عن صرف الاموال فيما لايليق ، و يحثه على حفظها في وجه شرعي ليتسنى له أن يكون أسرة عالية المزايا ممدوحة الخصال ، شريفة النسب ، مطبوعة بطابع خلقي طاهر ، ودينى بحت ؛ ترفع صوت المجتمع الى اقصى نواحي العالم ، و يزيده ذلك تدعيما يستطيع به أن ينفذ كل قانون سطره للنجاح فى أعماله ، والفوز بما تصبو اليه نفسه الوثابة ، و تتطلع وراء سمائه عزيمته الوقادة ، وعلى ضوئه يتوصل الى ادراك أمنيته ، و البلوغ الى ما ترمي إليه أحلامه الطاهرة .

ولذلك كانت سنة الله الجارية تحريض الطرفين — الرجل والمرآة — على الزواج ، بل كل عاقل مفكر يدرك منافعه و يوجبه لاكثار النسل و حفظ النسب ، لانه لو أطلق الحبل على الغارب لكل منهما ، لا صبحا ينبذان فكرة الزواج ، و يريد كل واحد أن يتعلق بمن يشاء متى شاء وكيف شاء .

فالمرأة تريد ان تتخلص من الاولاد و مما تتحمله من مشقة في سبيلهم ، لتحافظ على جمالها الذي تتحصل به على رفاهيتها و رغد عيشها ، و لانها اذا أدبر جمالها فقدت الراغبين فيها ؛ و مثلها الرجل تراه مشمئزا من التكاليف المنزلية و عبء الاسرة الثقيل ، فيرفض الزواج و يفر منه فرار الجبان من الاسد الهصور .

و نحن إذا تاملنا فيما أدى بمجتمعا الى الدعارة و السقوط . و هوى به الى الحضيض يتخبط فى الدرك الاسفل من الشر و الفساد الفينا ذلك يرجع الى عناصر اساسية سنبينها عند حديثنا عن الزنا و مضاره .

... واذا تتبعنا الاديان السماوية السابقة بصفة عامة و الشريعة الاسلامية بالاخص و جدناها جميعا تحض على الزواج و تدعو اليه ، فلذا نرى النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة »

الحديث . ويقول :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج »

الحديث . كل ذلك ترغيب فيه وتحريض عليه . كما ان العقلاء والمفكرين يرون فى الزواج العنصر الوحيد لتعمير الارض ، خصوصا اذا اعان على ذلك التقليل في المهور ، وعدم المغالاة فيها الى حد يعجز عنه الفقير ، وما ترك شبابنا اليوم ياتي كل منكر فظيع من غير مبالاة ، ويتردد على محال اللهو والفجور ، الا المغالاة في المهور .

واكبر مصيبة ادت الى تدهور اخلاق شبابنا هي ان اغنياءنا قد بلغ بهم العجب وكبرت نفوسهم الى ان صاروا لا يزوجون بناتهم من فقراء معدمين خشية ان يلحقهم العار . وكذلك سار

فقراؤنا فاصبحوا يسعون للالتحاق بالاغنياء فلا ينكحون فتياتهم الا من اغنياء عسى ان يحظوا عندهم بمنزلة — وان لم تكن عالية — وفوق ذلك اننا كثيرا ما نرى فقراء يعرضون بناتهم على الاغنياء من دون مهر لا قليل ولا كثير ، وهم يشمخون ويترفعون ، ونراهم اذا خوطبوا في بناتهم ممن هم في درجتهم يلوون رؤوسهم ، وينتفخون (كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد) .

...يريد الله ان يجتث بذرة الشر قبل نباتها ...

ويستاصل الداء قبل استفحاله، وينبهنا الى

مكامن الفتنة من جوارحنا ...

قال الله عز وجل :

« قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم » ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها » .

تلك آية من كلام الله اذا امعنا النظر فيها ، وجدنا أنه سبحانه وتعالى يامرنا تصريحا بالغض من البصر وينهانا ضمنيا عن نوع من أنواع الفتنة ، هو النظر لمحارم الغير ؛ يريد الله ان يجتث بذرة الشر قبل نباتها ، ويستاصل الداء قبل استفحاله وينبهنا الى مكامن الفتنة من جوارحنا ، ويلقننا : ان معظم النار من مستصغر الشرر — فهو ينهانا عن هذه النظرة الخاطفة المتاججة ، لانها اكبر شيء يثير العواطف ، ويهز النفوس ؛ واعظم سبب يبعث الى

ارتكاب الزنا واتيان الجرائم الفظيعة ؛ وهي بريد الشهوات ، ورسول المنكرات ، فلا اخطر منها على عفاف الرجل والمرأة لذلك امر سبحانه وتعالى المؤمنين ، واعاد بان يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، وامر النساء بغض ابصارهن وحفظ فروجهن حتى يامن المؤمنون والمؤمنات الحبائل التي وقع فيها كثير ممن لم يكبحوا جماح أنفسهم ، ولكن ليس النظر هو السبب الوحيد الباعث الى ارتكاب الزنا ، بل هناك أسباب اخرى تضطر صاحبها الى اتيان المنكرات :

فاختلاط الرجل بالنساء والخلوة بهن ، وتناول ممتع الحديث معهن ، عامل قوى ، وطريق سهل موصل الى الزنا، لانه ما اجتمع رجل مع امرأة ، الا كان العدو ثالثهما ، يزين لهما بوساوسه اللذة ومحاسنها ، حتى يقعا فيما لاتحمد عقباه ووجود اماكن خاصة

للبغاء الرسمي ، و مخالطة قرناء السوء .

كل ذلك من أعظم دواعى انتشار فاحشة الزنا بين جميع الطبقات خصوصا الشبان الذين استولى على عقولهم الشيطان و لم يستطيعوا دفعه عن انفسهم فاطاعوه واستسلموا له ، و كانوا من جنوده الخاضعين ، فسافهم الى الوقوع فى الرذائل الشنيعة ، و انتشار الفاقة بين السواد الاعظم من الناس ، اوقفهم عن الزواج ، و جعل الرجل يهرع الى البغايا من النساء ، و المرأة تصيد الموسر من الرجال .

و اختلاط الاجنبيات بالمسلمات ، و افشاؤهن المدنية الغربية فيهن ، و اغراؤهن بالملابس الافرنجية ، و التاثير عليهن فى دخول المسارح و مشاهدة الخيالة (السينماء)

و تبرج النساء و خروجهن يتبخترن في الحدائق العامة و في شوارع المدينة و يتثنين بين الشباب و الكهول ، و حضورهن في

المجتمعات والحفلات العامة سافرات الوجوه ، باديات النحور ، كاشفات الصدور ، بارزات النهود ، عاريات السوق ، يسابقن الرجال ويشاطرنهم في اعمالهم ، ويغشين الأماكن الضيقة ويزاحمنهم . تثير العواطف والشهوات وتحرك الجامد ، وتفتن العابد ، وتطير بالباب الشباب ، على ان الكثيرات منهن يصرفن جهودا جبارة ويبذلن اكبر العناية ، ويتفنن في رمي سهامهن ليصبن المرمى الا وهو سويداء القلوب من الشباب ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر

يا عيونا راميات في الحشا
نبلها الفتاك في قلبي مصيب

ويقول غيره :

ويلاه ان نظرت وان هي اعرضت
وقع السهام ونزعهن اليم

وانتشار الخمور بين الجمهور فى الموخير والحانات ، واباحة القمار ومحال الرقص والغناء ، والتمثيل الهزلى الساقط . وتدهور اخلاق الشبان وعدم تعليمهم الدين الصحيح ، والاخلاق الفاضلة التى تترفع بهم الى المثل العليا .

وكذلك مطالعة الكتب الفاسدة والروايات الغرامية .

ونشر صور النساء الجميلات على صفحات الجرائد والمجلات .

وصعوبة الزواج والمغالات في المهور ، والتخوف من الوقوع فى مازق الفقر بسبب الاقدام على الزواج وتكوين النسل .

ومثل ذلك تسليم الاولاد الصغار الى مربيات ساقطات الاخلاق ينمن معهم فى غرفة واحدة .

وترك الاولاد ينامون في فراش واحد .

واضف الى ذلك انغماس الاباء فى الشهوات والملذات ،

فيشب الابناء فاقدي الحياة والغيرة ، يستقلدون آباءهم فياتون كل فاحشة ولا يبالون .

هذه هي الاسباب العظيمة والعناصر الرئيسية التي تدفع الشخص الى الوقوع في المآثم والمكاره ، فيترتب على ذلك هلاكه من وجوه :

فيضعف في عقيدته وايمانه من الناحية الدينية ؛ ويظل ساخرا بالدين ؛ لا يهمه من حياته غير الرغبات البهيمية .

وضرره من الوجهة الخلقية ظاهر لا غبار عليه ؛ لانه ما كان ليعتاد الزنا الا بعد ان مزق جلباب الحياء عن وجهه ؛ وقد ثبت في الحديث « مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت »

وهو من الوجهة المالية لا يمكن له ان يدرك بغيته

الشهوانية ممن يهوى الا اذا صرف اموالا طائلة ؛ يبقى بعدها صفر الكفين ؛ يعيش بين خصاصة ملحة وفقر مدقع ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « الزنا يورث الفقر » الحديث .

وقد ثبت طبيا — من الناحية الصحية — ان الزنا مجلبة للامراض المزمنة ؛ والادواء الفتاكة ؛ التي يفقد بها الانسان الصحة والنسل والحياة احيانا .

وأما من الناحية الاجتماعية — فان كل امة فشا فى وسطها هذا الداء العضال تشتت جمعها ؛ وتفرق حزبها ؛ وصارت (كهشيم تذروه الرياح في يوم عاصف) .

ولذا نهانا ربنا الحكيم عنه بقوله : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » الاية . وقال صلى الله عليه وسلم من حديث : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »

وذلك لانه ينشأ عنه اختلاط الانساب واشتباهها ؛ ووجود التنازع بين الازواج ؛ وتعطيل النساء عن الزواج بالاكفاء لهن ؛ وتقليل النسل

ولا يمكن لاية امة ان تصلح نفسها وتحتل مكانة سامية الا اذا سلكت انجع السبل وانفعها ؛ لاكثار النسل والتشجيع عليه ؛ والقيام على صحته ناشئا ؛ وعلى تعليمه شبابا ؛ ليتاهل لحمايتها والذود عن كيانها عند الحاجة ؛ ولن تبلغ ذلك الا اذا شمرت على ساعد جدها للسعي فى تنفيذ مناهج الاصلاح التى نفصل بعضها :

فمن اللازم عليها ان تبكر بالزواج للشاب والشابة لانه علاج الشهوة ؛ وزمام النفس الزائغة — وهذا موجود عند كل مستطيع فى ارياف شعبنا الجزائري المحبوب وبعض قراه — فعلى قاطنى عواصمنا الجزائرية وجميع الأمم الاسلامية ان تنهج سبيله

فى هذا الدواء المفيد .

وان تسهل طرقه ؛ و تقلل قيمة المهر ما امكن ؛ وان ترغب فيه حتى يسهل على كل شاب غنيا كان او معدما ؛ ولا يمكن ان تنفذ هذه الطريقة على اكمل وجه الا اذا بادر بها الاغنياء واصحاب السيادة والجاه .

وعلى رؤساء الأمة ورجال الدين بالخصوص ، ان يحرصوا الحرص التام ، ويطالبوا الحكومة بمنع البغاء ، وغلق جميع دوره الرسمية وغير الرسمية ، ومراقبة البغايا ، وتشغيلهن شغلا شريفا ينسيهن حياة الفجور .

ويطالبوا بغلق حانات الخمور واماكن اللهو ؛ التي كانت الوباء الجسيم فى تعطيل عدد من الناس عن أعمالهم ، وتبذيرهم لاموالهم ، حتى أصبحوا يتسولون ، ويجولون الطرقات باسطين

أكفهم الى المرين .

ويطالبوا بمنع النساء من الخروج الى الشوارع ، والجولان في الحدائق العامة الا لضرورة حازمة فيخرجن شديدات التستر والاحتفاظ على أعراضهن .

أقول هذا مع اعتقادى بان هذه الفكرة ستقابل من طرف كثير من اعدائها بالضحك والاستهزاء ، وتعتبر فكرة شاذة من انسان جامد يريد ان يرجع بالمخلوقات — في عصور الترقي — الى القرون المظلمة — ولاغرو فان القضية انعكست واصبح عنصر النساء مزاحما لعنصر الرجال في مهامهم الخاصة بهم ؛ وصارت الاية (الرجال قوامون على النساء) على ما يفهمها ضعفاء العقول والداعون الى المشاركة والتسوية غير صالحة لهذا العصر الحديث ، ولامسايرة لروح هذا الزمان .

ويطالبوا بالتمسك بالعفة لانها الوسيلة الوحيدة لاتقاء العدوى وقطع دابر الزنا ، مع تثقيف البنين والبنات ثقافة خلقية دينية ، يعرف بها الرجل كيفية خوضه غمار الحياة ، وتعرف بها المرأة كيف تسير شؤون منزلها وتحذق تربية أبنائها تربية اسلامية حسنة .

فاليكم يا رجال الدين ويا رؤساء الامة نرفع صوتنا وننادي بانكم المسئولون امام الله والتاريخ على سكوتكم عن المنكرات ، وعدم سعيكم في تغييرها ، وأنكم بهذا لتعدون خائنين للامة والامانة معا ، وغير ممتثلين لما امركم به رسولكم الكريم الذي خلفتم مكانه في نشر الدين وتبليغ الرسالة ، وكفاح من يريد ان يتعدى حدودها ؛ وانا لنخالكم بهذا الخمول قد نسيتم قوله صلى الله عليه وسلم .

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ؛ فان لم يستطع فبلسانه ؛ فان لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك اضعف الايمان » الحديث .

واننا نريد بهذا النداء ان نذكركم عسى ان تتنبهوا وتعملوا لصالح الاسلام والمسلمين ؛ وتمسحوا من قلوبكم الافراط في حب الدرهم والدينار ؛ وتطرحوا ما حل فى اعضائكم من كسل وفتور ؛ وتنهضوا باخلاص لتقويم المعوج ؛ وتقوموا بغيرة لاقامة حدود الله ؛ ولا داعي يحفزنى لاسدي لكم هذه النصائح الثمينة الا الامتثال لقوله تعالى : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » الاية .

ولا وازع يدفعنى لاُن اذكركم الا لاُقول بعد ما قال عقبة بن نافع رحمه الله ورضي عنه : اللهم اشهد فقد بلغت .

فاليك نسوق الحديث ،،، فعليك ان تملكي رشدك ،،، وتصوني نفسك عن الشباب لمستهترين الذين يريدون منك ان تجتمعي معهم فى الحدائق العامة ، وتبادليهم الغزل وانواع المجون ،،، ويجعلوك حديث النوادى ومجالس اللهو والخلاعة ،،،

هل للسفور اثر في رقي المرأة او انحطاطها ؟ طالما بحث الناس في مسالة الحجاب وازالة البراقع ؛ وكثيرا ما تطاحنت في مثل هذه المباحث الافكار ؛ وتضاربت فيها الاراء ؛ اذ كانت هدفا للمصلحين ، وعرضة للناقدين ، وغرضا للمفسدين ، ومنى للفاسقين ؛ وكان الناس بين داع للسفور وناقم عليه ، وقد عالج هذا الموضوع قبلنا كثير من الكتاب ، مثل رشيد رضا ومصطفى لطفى المنفلوطي وغيرهما ، وثلة من الصحافة العربية .

ورغم ما قام به هؤلاء من اصلاح ، فان هذا الداء الوبيل ما انفك يسري ، ويعضل امره ، ويستفحل خطره ؛ وكان من الاليق ان لا يكون هذا موضوع حديث ، ولا أخذ ورد ولا مناقشة ونقد ، ولا فكر ومعارضة ، ولا رأي ومجابهة . بل كان علينا ان نكتفي فيه بتفهمنا الدين ، والتمسك باهدابه ،

واتباع منهجه ، والسير على نور سراجه ، والامتثال لأوامره ونواهيه .

. . ولكن المغرضين الذين عشش الشيطان في اخاخهم وفرخ ، وتشبعوا بالمدنيات الغربية الزائفة . وجرفهم تيار الحضارة السافلة الى محيط الظلمات ؛ ابوا الا ان يشغلونا عما يجب الاعتناء به ، وان يجعلوا المرأة المسلمة من المشاكل الاجتماعية الكبرى ، ويلفتوا انظارنا اليهم لمناقشتهم في هذا المشكل الخطير ، اذ ان المرأة دعامة الاسلام وركنه الحصين ، لا يمكن ان يقر له قرار اذا انقض جداره — لا قدر الله —

ومن واجب المسلمين عموما ورجالات الدين بالاخص ان يواجهوا هذا السيل الجارف ، فيستاصلوه قبل ان يفشو داؤه فيهلك الحرث والنسل . واننا لم نجرد اقلامنا لمثل هذا الموضوع

الا بعد ان احوجنا الى ذلك ، وخشينا ان غضضنا عنهم البصر ان تكون لدعوتهم الفاسدة بين الجنس اللطيف آذان صاغية ، وقلوب واعية ، وتكون العاقبة وخيمة .

ولذا فاننا نريد ان يكفوا عن غيهم ، ويعيدوا سيرتهم الاولى — سيرة اجدادهم الطاهرين وسلفهم الصالح — والا فنحن مستعدون لردعهم وكبح جماح شهواتهم ، حتى يثوبوا الى رشدهم ؛ ويسيروا تحت نور الشريعة وهداية القرآن . وقد كنا قبل من هذه الناحية مطمئنين ، وكانت المرأة المسلمة — خصوصا بشمالنا الافريقي — شديدة التمسك بالدين ، دائبة على حفظ عرضها وعفتها .

... وقام اولئك المفسدون الذين سرى الداء الاوربي في عروقهم ، وتزيوا بازياء الافرنج ، وتمكنت منهم الطبائع

الافرنجية ، فظهروا بفكرة تمجها الاذواق ، وتطرحها الافكار السليمة ، واصبحوا يزعمون ان للسفور اثرا فى رقي المرأة لا فى انحطاطها ، يريدون من ذلك افساد المرأة المسلمة ، ويودون منها ان تمزق الجلباب ، وتخرج عارية الوجه حاسرة الرأس كاشفة الصدر والاطراف ، وتغشى مجالس الرجال ، بدعوى ان الفتاة سائرة الى السفور بعد الثقافة لا محالة ، ويحتجون لذلك بوقائع تاريخية ، وباقوال العلماء والفلاسفة الاجانب ، ويقيسون انفسهم بالغربيين ، ولكن بصائرهم عميت عن الدستور السماوي ، وصاروا يدعون ان اختلاط الجنسين يميت الشعور ، ويفقد الاحساس ، وما تطلع الشاب الى الفتاة وحبه اياها الا لكونه مكبوت النفس بعيدا عنها ، وقاموا على قدم وساق يطالبون بالحرية والمساواة للمرأة ؛ ويبيحون لها ان تلج دور الخيالة (السينما)

و تشارك الرجال في اعمالهم الخارجية ؛ ادعاء منهم ان المرأة الشريفة تحافظ على عفتها خارج منزلها كما تحافظ عليها فيه ؛ وان ذلك رقي في حضارتها ، و تمدن في حياتها . . . ولو فكروا لوجدوا ان الحجاب للمرأة هو عنوان عفافها ، و هو السلاح الذي تدرأ به المعتدين ؛ و تدفع به الفاسقين .

ولو تدبروا لادركوا أن المرأ ما خلقت الا للمصالح الداخلية ، ولو ابحنا لها خلع الحجاب و مشاطرة الرجل فى الاعمال الخارجية ، لكنا تسببنا فى اهمال شؤون البيت — وليس هذا من أفعال العقلاء — ولكانت المرأة عرضة لتلويث الشرف ، و جلب العار ، واختلاط الانساب التى تجب المحافظة عليها ، والتى هي عين حكمة الله فى مشروعية الزواج واستقلال الرجل بامرأته والمرأة جنس لطيف لها عقل ضعيف لا تستطيع أن تتغلب

على شهوات نفسها كما ورد فى الاثر : « النساء ناقصات عقل و دين » لاننا سلبنا منها سلاحها الذي تذوود به عن شرفها الا و هو الحجاب .

نعم للمرأة المسلمة أن تتعلم دينها لتحسن تربية أبنائها ، و تكون منهم نشأ قويا ثابتا ، مجدا فى عمله ، مهيا للدفاع عن القومية الاسلامية و الوطن . . .

ولها الخروج لكن لا على تلك الحال التى يرمى اليها اولئك المفسدون ، وانما عليها أن تبرز متسترة كما أمرها الشرع الاسلامي الحنيف . و إذا اورد علينا أولئك الاشرار بان الاسلام قد أباح لها أن تخرج عارية الوجه والكفين والقدمين ، فنقول لهم ؛ ذلك ليس على اطلاقه ، بل هو فى مواقف خاصة ، يجدر بها أن تزيل حجابها فيها ، وما عداها فليس لها ذلك ، وعليها أن تتمسك

بالحجاب . فاليك أيتها المرأة المسلمة نسوق الحديث ، وإليك نتوجه بالنداء والنصائح الثمينة ، فعليك أن تملكي رشدك وتلزمي منزلك ، لتقومي بجميع لوازمه الضرورية ، وان لاتدعيه مهملا يستجمع انواع القاذورات والجراثيم ، واحذري أن يصيبك غضب زوجك فيتعكر صفو الود بينكما ، وتفسد المعاشرة ، ويؤدي ذلك بالاسرة الى التفرق والخراب ، واعلمي أنك مامورة بالتمسك بقواعد الدين وقد أهملتها وابتعدت عنها ، فارجعي الى ربك ، واعلني له توبتك قبل أن يمسك العذاب ، وصوني نفسك عن الشباب المستهترين الذين يريدون منك ان تفارقي منزلك لتجتمعي معهم في الحدائق العامة ، وتبادلهم الغزل وانواع المجون ، ليشبعوا نهمهم البهيمي منك ، ويزيلوا عن محياك الحياء الذي هو شطر دينك ويجعلوك حديث النوادي ومجالس اللهو والخلاعة فلتتنبهي من

أمرك ، و تشتغلى ببيتك و ابنائك ، ليعود ذلك عليك و على مجتمعك بالخير و الصلاح (١)

(١) سنتعرض الى بيان الاخطار التي تنتج عن السفور فى — الجزء الثاني — من هذا الكتاب إن شاء الله

المرأة المسلمة في عصرنا الحاضر

فاليك اوجه ندائي واحرضك على ان تاخذ بساعد اختك المسلمة وتحملها في سفينة النجاة ... واحذر طلاب العربية بالخصوص من ان يتركوا شريكات حياتهم يا خذن ثقافة معاكسة لثقافتهم ، فان ذلك شقاء دائم وتعاسة ابدية ...

ان المرأة المسلمة في هذه الظروف العصيبة ؛ وهذه الازمنة الحرجة ؛ لفي خطر داهم ؛ وويل عظيم وفي طريق سيل جارف وهلاك مبين . اذ انها وقعت في محيط لا شاطئ له ولا نهاية ، وما فتئت تسبح وتمرح ، حتى اذا ادركها التعب واضناها الملل ، وعزمت على الخروج ، ضلت السبيل ، وهوت الى الحضيض . ونحن اذا نظرنا الى المرأة المسلمة اليوم نظرة الفاحص المدقق والحكيم المتطبب ، وجدنا درجتها ليست واحدة ، وخطرها يتفاوت حسب المستوى الذي هي فيه وذلك لان المرأة المسلمة : اما ان تكون مدنية ، او ريفية . فجل المدنيات مثقفات ، وغالب الريفيات جاهلات ، وكل يشتركن في امراض وبيلة ، تحتاج الى اطباء ماهرين ، يعرفون انواع الادواء ، ويحذقون اعطاء كل داء دواءه بمقدار وميزان .

بيد ان المدنية اشد خطرا على مجتمعها من الريفية ، خصوصا اذا كانت على جانب من الثقافة ، والثقافة الاجنبية اعظم وقعا عليها من الثقافة القومية ، ولو بحثنا بحثا دقيقا لالفينا ان الثقافة الأجنبية هي العنصر الاساسي فى افساد المرأة المسلمة من عدة نواحى :

(١) من ناحية عقيدتها — فالمرأة بطبيعة حالها ضعيفة العقيدة تبعا لضعف عقلها ؛ ولا يمكن ان تثبت على عقيدتها ما لم تكن ثقافتها دينية بحتة ، اذ ان الاقتصار على الثقافة الاجنبية للمرأة يضعضع عقيدتها ، وتظل كلما تفوقت فى اللغات الاجنبية ضعفت عقيدتها شيئا فشيئا حتى لا يبقى اثر الايمان فى قلبها ، وهكذا تسير فى طريق غيها حتى تصبح الجاهلة اشرف وارسخ على العقيدة والايمان منها .

(٢) من الناحية الدينية ـ فها نحن اصبحنا اليوم نرى المرأة المسلمة بعيدة عن دينها ، وصارت لا تقوم بواجباتها ، بل لا تشعر بان عليها واجبات نحو إلهـها وشعبها ، ولا تبتعد عما نهاها عنه ربها ، وظلت مسلمة بالوراثـة فحسب ، وهي من هذه الناحية سواء كانت ريفية او مدنية جاهلة او متعلمة ، لا هم لها في حياتها سوى الأكل والشراب ، والنوم والاستلذاذ ، قد قضى على الريفية جهلها ، وعلى المدنية ثقافتها الاجنبية وحضارتها ، وانك ايها القاري العزيز ليعتريك العجب والحيرة اذا قلت لك : ان الفتاة المسلمة لسائرة الى الكفر ، والكفر اقرب اليها من الايمان ، وذلك لان ثقافتها الاجنبية اكسبتها ذبذبة محت من قلبها الايمان واهلتها الى الكفر ، وها أنت تراها في عصرها الحاضر تتقدم بخطوات شاسعة الى الضلال والالحاد ، وتتمرن على ذلك بتركها

للصلاة ، ونسيانها للزكاة ، وعبثها بالصيام ، وعدم امتثالها لاوامر الدين .

(٣) من الناحية الخلقية — تتقدم الفتاة المسلمة فى الثقافة الاجنبية ، وتعرج فى سنوات تعلمها بتفوق واتقان ، وتعتكف على مطالعة الكتب المؤلفة بتلك اللغة التي حذقتها ، وترتوي مما اشتملت عليه تلك الكتب من أخلاق افرنجية ، وقصص غرامية ، ولطائف هزلية . فينطبع كل ما قرأته فى قلبها ، وينقلب الى صورة عملية فى جوارحها ، وتصبح بين مد وجزر ، فعرفها الموروث عن ابويها يوجب عليها أن تتمسك به ، وثقافتها تدفعها الى التطبع بما قرأته ، وما اطلعت عليه من اخلاق الاجانب وطبائعهم ؛ وسنة الكون تقضي بتغلب الثقافة على العرف و هكذا تقود الثقافة الاجنبية الفتاة المسلمة الى التدهور فى الاخلاق و السقوط في الرذائل

والتقليد الاعمى للاجنبية في لباسها ، ومجونها وجميع سقطاتها ، وياليتها اقتدت بها في حسناتها : من العمل بدينها ، والقيام بمنزلها والغيرة على وطنها ولغتها القومية ، والعجب الشديد الذي يدعنا حائرين ، هو أن الافرنجية نراها متشبثة بدينها ، وعاداتها وجميع تقاليدها بينما نشاهد المرأة المسلمة تنسلخ عن كل تقاليدها وعاداتها حتى أمست لا دينية .

(٤) من الناحية الشعورية — وظلت المرأة المسلمة بسبب ثقافتها الاجنبية تميل ميلا كليا الى الافرنج ، وتبغض جنسيتها ، وتود الا تنتسب إليها ، والا تعتز بقوميتها .

وشاهدنا على ذلك أننا كثيرا ما رأينا فتيات مسلمات يرتدين اللباس الافرنجي ، ويبرزن الى الشوارع العامة او المنتزهات ، وهن يتحادثن باللغة الاجنبية ، ويلجن محال اللهو والحانات ،

و يغالطن الشباب الاجنبي ليشاركهن فى الحديث ، و يسبح معهن في بحر الغرام و الهيام ، و يتمنعن من الزواج بابناء جنسهن اللهم اذا كانت لهم ثقافة اجنبية ، و طبائع غربية ، و هن غير راضيات ، و انما الجنسية الزمتهن ذلك ، الا ما قل من اللواتي تغلغل فى قلوبهن حب الجنسية و الاسلام .

و كثيرا ما حملت الثقافة الاجنبية فتيات مسلمات على التعلق بالشباب الاجنبيين و الفرار معهم ، و قد وقع الكثير من هذ الشكل في عواصم الشمال الافريقي ، ولا ننسى ان المسلمة المدنية بالاخص اذا استجابت الى تقاليدها الجنسية ، و تزوجت من الشاب المسلم ، فان جلهن لا يقتنعن بذلك الزواج ، بل لا بد لهن ان يسلكن مع الشاب الاجنبى سبيل الزنا و الفجور ، و تضيع الشرف و الكرامة ، و تلويث العرض و سلب العفاف ،

كلما وجدن الى ذلك سبيلا .

(٥) من الناحية الاجتماعية — لا ريب ان المرأة المسلمة عنصر هام في المجتمع الاسلامي ، يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها ، فاذا كانت مقبلة على تعلم لغتها ، والتمسك بدينها ، واتباع منهج النساء المسلمات اللاتى كن فى السلف الصالح عاملات بدينهن ، ومربيات للمعاصرات لهن ، على الاخلاق الفاضلة والمزايا الحسنة حسبما جاء بها محمد — عليه الصلاة والسلام — ، فان مجتمعها يكون طاهرا ماجدا نبيلا .

واما اذا بقيت متاثرة بثقافتها الاجنبية ، ومستسلمة لتيار المدنية الزائفة ، فانها تكون قاضية على مجتمعها بالهلاك والدمار ، ومنذرة له بالاضمحلال والاندثار .

وليس الذنب الا على ابوي كل فتاة ؛ اذ هما اللذان اساءا

تربيتها ، ولم يلقناها لغتها ودينها ، ولم يحسنا توجيهها ؛ ولم ادرما هذا التهافت المشين على اللغات الاجنبية من طرف النساء المسلمات ..؟

أتريد المرأة المسلمة أن تحرز بثقافتها الاجنبية على الوظيف في ادارة من الادارات ؟

أو تريد أن تحمل على عاتقها قضايا الشعوب الاسلامية وتتوجه بها الى مجلس الدول سفيرات ؟

أما اذا كان الغرض — الاول — فهذا شيء بعيد في بلادنا لانه محتكر للمستعمرين ، وعلاوة على هذا فلتفكر هي نفسها ، هل كل رجال وطنها موظفون ، وبقيت ادارات البلاد تستزيد المشتغلين ؟

الم تر الشباب المحرزين على شهادات عليا يجولون في الشوارع

ويتطلبون المساعدة في جميع ضروریاتهم ، فكيف للفتاة الحصول على الوظيف ؟

وأما اذا كان المقصد — الاخير — فلا حاجة لنا للمرأة أن تتولى السفارة ، وانما عليها ان تعتكف فى منزلها على القيام بشؤونه ، وتربية أبنائها ، والاجتهاد فيما يجلب الراحة لزوجها وعلى الزوج أن يتصدى لجميع المهام خارج المنزل .

... ولكن أنى للمرأة المسلمة أن تدرك هذا قبل أن يتنبه اليه ابوها فى صغرها وزوجها في كبرها ؛ وليست التبعة على آباء الفتيات فحسب ، بل الوزر الاكبر على العلماء والمدعوين — رجال الدين — فهم الذين يجب عليهم ان يولوا وجوههم ناحية المرأة ، ويعملوا لاصلاحها لانها الاساس لاصلاح المجتمع واليهم انفع السبل ليتلافوا الامر قبل فواته :

أ — على رجال الدين ان يجعلوا موضوع المرأة المسلمة من مواضيع خطبهم الجمعية الهامة ، ويعلموا الناس فيها كيف يقومون بتربية بناتهم تربية اسلامية صحيحة ؛ ويبينوا لهم بان مضار الثقافة الاجنبية عليها وعلى مجتمعها كثيرة ومنافعها قليلة ؛ ويرشدوهم الى تعليمها دينها الصحيح ، وتثقيفها لغتها العربية ، لتمسك زمام نفسها ؛ ويرغبوهم فى تعليمها الصناعة اليدوية ، لتعين زوجها على مشاق الحياة وتكاليفها المرة ؛ وينذروهم من سوء مصيرها فى الدنيا ، وعقابهم العسير من اجلها فى الاخرة ؛ ويضربوا لهم الامثال باللواتى شغفن بالثقافة الاجنبية ، كيف انحطت اخلاقهن ، وجلبن المعرة الى مجتمعهن ؛ اذ الكثيرات منهن لم يكدن يفارقن المكاتب الا وقد عبثن بشرفهن ، وقد لايسلم بعضهن من الحمل الذى يتسبب عنه اختلاط الانساب ، وشقاوة الابناء

والامهات .

ب — وعلى رؤساء الامة وقادة الاصلاح ان يضموا مشكلة المرأة الى برامج اعمالهم ، ويعنوا بها الاعتناء الشديد ؛ فيكونوا لها المدارس الخاصة بها ؛ ويختاروا لها معلمين اكفاء صالحين يستطيعون ان يحببوا لها معلمات يعلمنها الصناعة ؛ ثم يزوجوها بكفء لها لتعيش سعيدة فى حياتها .

ج — وعلى المؤلفين والصحفيين ان يعالجوا هذه الناحية وان لا يهملوها ؛ ويعلموا انهم اطباء المجتمع ؛ فليحيطوا انظارهم به ؛ ويكتشفوا مكامن الداء منه ؛ والا فهم انفسهم مرضى يحتاجون الى من يطببهم ، وقد تكون العدوى سرت منهم الى مجتمعهم ، وظنوا انهم يعالجونه وهم في الحقيقة ينفثون فيه جراثيم الوباء ، ولكنهم لا يشعرون .

... وما جل صحفيينا وكتابنا الا ذاهبون بالمرأة الى الهوة السحيقة التي لا نهاية لها ؛ وداعون لها الى الالحاد الصريح والكفر المبين ؛ فبعض مؤلفينا اليوم قد خرجوا بتآليفهم على غير السبيل المعتاد ؛ اذ سبروا عقول الشباب ، واتبعوا شهوات القراء ؛ وصاروا يكثرون من الروايات الفاسدة ، والحكايات السخيفة ، التي تهز احاسيس القارئ وتثير عواطفه ، لتكون لهم في مؤلفاتهم تجارة رابحة ؛ واكثر صحفيينا اغراهم الدرهم والدينار ، ونسوا مهمتهم السامية ، وظلوا ينشرون على صفحات جرائدهم الاعلانات على محال الرقص واللهو ؛ ولا يقفون عند هذا الحد ، بل يعمدون الى نشر صور النساء الجميلات بمزيد الاغراء والتشويق ؛ ويودون ان ترد عليهم في اليوم آلاف من هذه الاعلانات واضرابها .

فعلى هذه المناهج المفيدة يمكن لنا ان نصلح المرأة المسلمة ، وان نؤدي واجباتنا على اكمل وجه واحسن حال ، وتظل هي مستقيمة ضاربة المثل الاعلى فى الاخلاق النبيلة ؛ متشبثة بدينها الحنيف ؛ ناهضة بابنائها الى الرقي والمدنية الاسلامية الحقة ؛ جاعلة رائدها الاقتداء بخديجة وعائشة وفاطمة واضرابهن من شهيرات النساء المسلمات ؛ نافضة يديها من اوساخ المدنية الغربية السافلة ، متحفزة الى العمل فيما يعود على مجتمعها بالفلاح والصلاح ؛ مشمرة على ساعد جدها في تعليم اولادها العلوم الابتدائية ؛ ليتفوقوا على زملائهم فى المدرسة ، وليفوزوا برضاء المعلم عنهم وحبه لهم ، وليحرزوا قصب السبق في الامتحانات ؛ وتكون نتيجتهم عند مدير مدرستهم في الدرجة الاولى من التحبيذ والاستحسان .

هكذا نريد ان تكون المرأة المسلمة ؛ وهذا ما نرجو

من متزعمي حركات الاصلاح ان ينهضوا و يعملوا ؛ لاننا نعتقد ان نشاطهم الاصلاحي فى غير المرأة يكلفهم اتعابا جسيمة في تضييع الفرص الثمينة ؛ و يبلغهم الى نتائج ضئيلة ؛ و تكون مسؤولياتهم عظيمة ؛ لعدم سيرهم على فكر سليم ، وعقل حصيف ، حتى اقتصروا على اصلاح الفروع ؛ و اهملوا الاسس و الأصول ؛ و لو حاسبناهم على اعمالهم في سنوات عديدة ؛ لما عثرنا لهم على نتائج جليلة منذ تقلدوا حركة الاصلاح .

و لهذا فاننا ندعو رجالنا المصلحين ان يغيروا منهجهم الاصلاحي ؛ و يجتهدوا في اصلاح ما تنبني عليه سعادة المجتمع ؛ و يتعهدوا انقاذ المرأة المسلمة من ظلمات الجهل الحالكة ؛ و ياخذوا بيدها ليخرجوها من بحر الحضارة الغربية المتلاطم الامواج ؛ المفعم بالجراثيم الفتاكة ؛ و الادواء الوبيلة ؛ و يبغضوها في الثقافة

الاجنبية التي فتحت لها ابواب السقوط في الموبقات ؛ و حادت بها عن الصراط السوي ، و جعلت على بصيرتها غشاوة اعمتها عن الاهتداء بنور الشريعة ، و الرضوخ لاوامر القرآن و السنة النبوية الشريفة .

فاليك ايها الشاب المسلم اوجه ندائى ؛ انني احرضك على ان تاخذ بساعد اختك المسلمة و تحملها فى سفينة النجاة ؛ و انصحك بان تركب متن الجد و العزم لتصلح الفتاة المسلمة التي تكون عما قريب شريكة حياتك ؛ و احذر طلاب العربية من ان يتركوا شريكات حياتهم ياخذن ثقافة معاكسة لثقافتهم؛ فان ذلك شقاء دائم ، و تعاسة ابدية ؛ ثم تنجر المصيبة الى الاولاد ، و تكون افكارهم مذبذبة ، و تربيتهم مزدوجة ، و تكون عاقبتهم وخيمة .

و انت ايتها الفتاة المسلمة اريد منك ان تكوني مقتدى

للاجنبية ، لاان تكوني مقلدة لها ؛ و آمل منك ان تتزعمى — حركة الاصلاح — فى عنصرك لتعينيها على هذه المهمة الكبرى و تقومي بواجباتك نحو امتك و وطنك ؛ وارغب منك ان تجعلى القرآن امامك ، وسير الشهيرات المسلمات مثالك ، و العربية لغتك و الاسلام دينك و الحرية مبدأك و عقيدتك (١)

---

(١) يجد القارئى الكريم حديثا حول هذا الموضوع فى — الجزء الثانى — من هذا الكتاب ان شاء الله .

الجلوس في المقاهي

...وكان على ارباب المقاهي ان يتنبهوا الى هذا الخطر الفادح ؛ ويعلموا انهم بسلوكهم هذا قاضون على شعبهم بالهلاك لامحالة ، ومتوجهون به الى الخراب والدمار ، ومنذرون له بالويل والثبور ...

ان حالة مقاهينا اليوم قد خرجت من طور الى طور ، ومن شكل الى آخر ، وقفزت عما كان يلزم ان تكون عليه الى ما لا يحسن ان تصبر اليه .

فقد كانت مقاهينا مواضع سلوى للنفوس ، ونزهة للخواطر ، ورياضة للافكار ، تبعث في نفوس جلسائها النشاط والوثوب الى القيام بواجباتهم من غير تاخر ولا تقاعس ، وكان روادها لا يكادون يغشونها حتى يحسوا براحة الاجسام ، ولا يكادون يمكثون فيها بعض دقائق حتى يستعيدوا نشاطهم ويندفعوا مسرعين الى اعمالهم باصدق عزم واطهر ضمير ، وذلك لما يلفون فيها من جرائد يقرءونها : فيطلعون فيها على اخبار الامم واحوال الشعوب ، ومجلات يطالعونها ، فيروون ظمأهم بما حملت في اوراقها من آداب قيمة ، وعلوم متنوعة ، فتتكون

في نفوسهم حمية على الوطن ، وغيرة على البلاد ، ينبعثون بهما الى العمل لمستقبل أمتهم ، والجد في منافعها والسعي وراء مصالحها : من انشاء كليات التعليم ، وشركات التجارة ، ومعامل الصناعة ، حتى يستطيعوا ان يحفظوا كيانهم الاقتصادى . . .

وبهذا تكون امتهم قد احرزت قصب السبق فى الرقي والمدنية والعمران ، وتكون قد كفت انظار الطامعين عنها ، وسدت منافذ المطلين عليها . . .

هذه هي المقاهي التي نريدها ، ويمكن لنا ان نؤمها بعد فراغنا من اعمالنا .

. . . وهاهي اليوم قد تشكلت باشكال اخرى ، واسدل الليل عليها جناحه ، فاصبحت في زي جديد ، ودهمها سيل جارف فرجع بها من طور الرقي الى طور الانحطاط والفساد ؛ وقضى عليها

بالتقهقر الى الوراء ، فنكصت على عقبها ، وولت مدبرة الى التسفل والسقوط ؛ وصارت مجلس السفهاء ؛ وماوى أهل البغي والشر ، بعد ما كانت مقصد العلماء ، وملتقى الادباء ؛ وظلت مكمن القمار ، ومحل المحرمات ، تضم بين احضانها جميع الرذائل والمنكرات قد قصر اصحابها همهم على ابتزاز الاموال ؛ فتحينوا الفرص ، وتفننوا فى الاساليب ، ونصبوا الشراك وفكروا فى كيفية استهواء جميع الطبقات ، خصوصا السوقة منهم والسفلة ، الذين لايتدبرون امورهم ولايشعرون فاباحوالهم لعب الاوراق ، وتناول المخدرات ؛ ورموا بنظرهم الى الشباب فوجدوه عنصرا عظيما يعتمدون على كيسه ؛ فاغروه بفنون مختلفة من لهو وطرب ، وبهذا صارت مقاهينا أكبر سبب في سقوط الشباب ، وتقاعده عن العمل ، وتقاعسه عن التدبير فى فائدة وطنه ، والتفكير فى مستقبل أمته

واصبح الشباب يجلس فيها ليسامي نفسه ، ويروح عن ضميره ؛ فاذابها تلحق به اخطار فتاكة ، وادواء وبيلة :

(١) من الناحية الجسمية — اذا ادمن الشخص الجلوس في المقاهي ؛ نراه نحيف الجسم ، شاحب الوجه ، ساهم الخدين ، معروق الاطراف ، ممتقع اللون ، غائر العينين ، حيران النظر ، فاتر الاعصاب ، مرتخي الاعضاء ، مشرد الفكر ، مبلبل البال ، مصاب بداء العجز ، ميالا الى البطالة ، بعيدا عن المجتمع ، ساخرا بذوي الجد والحزم ، وقد لا يسلم من مرض (السل) ذلك الداء العضال الذي قل من اصيب به ونجا بسبب جلساته المتكررة في المقاهي .

(٢) من الناحية المادية — فانها تلحق بجلسائها الخسائر الفادحة وتورثهم الفقر المدقع ، وتترك كل من قصدها صفر الكفين

« خاوي الوفاض ، بادى الانـفاض »

(٣) من الناحية الخلقية — أما من هذه الوجهة فحدث عنها ولا حرج ؛ فلا يبرأ من شرها شباب ولا كهول ، فمهما اقبل عليها إنسان ولم يكبح جماح نفسه عنها الا رمت به في محيط لا قعر له ولا نهايـة .

(٤) من الناحية الدينة — فانظر اليه كيف يتسرب الى نفسه التساهل فى الدين ، والاستخفاف باوامره ، والتراخي عن القيام بالواجب فى بادئى امره ، ثم يبتعد عنه شيـئا فشيـئا حتى يزيغ عن طريق الرشاد ، ويسلك سبيل الضلال والالحاد ، وتلك غايته اللانهائية .

كل هذه الجرائم تحويها مقاهينا ؛ واربابها هم المسؤلون على شباب الامة ورجالها ؛ كما أن رجال الدين ودعاة الاصلاح ،

يتحملون القسط الاوفر من هذه التبعة ، اذ كان عليهم أن يغيروا كل منكر راوه ، وان يحملوا الامة فى سفينة النجاة ، وينقذوها من الضلال العميق .

... وكان على أرباب المقاهي ان يتنبهوا الى هذا الخطر الفادح ؛ ويعلموا أنهم بسلوكهم هذا قاضون على شعبهم بالهلاك لامحالة ؛ ومتوجهون به الى الخراب والدمار : ومنذرون له بالويل والثبور ، وكان عليهم حينما انقلبت الحقائق وصار العزيز ذليلا ، والسيد رقا حقيرا ، ان يقلدوا الاجانب في حسناتهم ، ويأخذوا اللباب اولى من الاشتغال بالقشور ، وعلى شبابنا أن لا يلجوا المقاهي الا بعد فراغهم من اعمالهم ، كما هو الحال عند سائر الاجانب فاين نحن منهم ؟ وأين حياتنا من حياتهم ؟ ؟

فاكثر مقاهينا اليوم ليست الا جراثيم فتاكة وادواء

معدية ، فكثيرا ما رأينا شباب مقبلين على اعمالهم باخلاص نافذ ، وعزم قوي ، واذا بهم اعتادوا الجلوس فى المقاهي فضعفت عزائمهم وضرب الكسل عليهم أطنابه ، وتبدلت الاخلاق غير الاخلاق ، فارتبكنا عند ما رأيناهم على هذه الحال المحزنة ، ولما بحثنا عن الداعى وجدنا المقهى هي السبب الوحيد فى القضاء على هؤلاء الشباب وفى انحطاطهم وفسادهم ، وهي التي قضت القضاء المبرم عليهم .

لذا أوجه نـدائى الحار الى الشاب المسلم أن يبتعـد عن الاماكن الضارة بشبابه ومجتمعه ، واود أن لا اراه الا مجدا في عمله ، مخلصا لوطنه ، مكافحا لامته ، ناهضا بعروبتـه ، معتزا بقوميته ، مفتخرا بتاريخـه ومجـده .

— ٤ —

القسم التاريخي

أيها القارئ العزيز في هذا القسم تقرأ الفصلين التاليين :

سقوط الدولة الاموية — الدولة العباسية :

ولكنك لن تجد سردا للوقائع والحوادث باعوامها وشهورها وأيامها على عادتك فى الكتب التاريخية ، وانما ترى استنتاجا لاسباب سقوط الدولة أو قيامها ، لتكون لك مثالا تهتدي به ، أو عبرة تتعظ بها ، حتى لاتقع فيما وقع فيه أسلافك .

سقوط الدولة الاموية

... وجاء دور السقـوط والاضمحلال ... واشتعلت نـار الفتن ؛ وتاجج لهيبها بيـن العرب والبربر في الاندلس... وانفجر بركانها بخراسان ...

اذا ما لفتنا أنظارنا الى تاريخنا العربي الاسلامي ، ورجعنا فهرسته ، ودققنا البحث فيها ، وجدنا الاسلام ما ارتكزت دعائمه ، وتوطدت اركانه ، الا في الدور النبوي ، وعصر الخلفاء الراشدين ، ويلحق به النصف الاول من طور الدولة الاموية ، التي اتسع الفتح الاسلامي فيها ، وبلغ المحيط الاطلسي ، واجتاز البحر ، وعم الاندلس ، بفضل خلفائها الثلاثة الذين اشتهروا بالدهاء ، وعرفوا الجسن السياسة والتدبير ، والذين لولاهم لانقرضت هذه الدولة في الحين العاجل ، وانقضت اركانها وطمست معالمها ، لما هو موجود من اضطرام الفتن في اهل الجزيرة ، والخطر الذى يهدد الامراء من طرف الشيعة ، الذين قاموا أثر علي كرم الله وجهه ، يطالبون بالخلافة لابنائه ، والخوارج الذين استفحل امرهم في ذلك الحين ، ورغم هذا كله

فقد ازدهر ذلك الدور ، وظل علمه مرفرفا خفاقا في انحاء الجزيرة وظل صيت الدولة يرن في آذان الجبابرة فياتون خاضعين .

هكذا قطع الاسلام مراحله الاولى تغمره الخيرات ، ويضم أهله بين أحضانه ، فكانوا اعزة بقوانين دستوره السماوي .

... ولكن شاءت الاقدار أن ينتدك ذلك الصرح الاشم ، وينقضي ذلك الدور الزاخر بجلائل الاعمال ... وشاءت الايام أن ينقض ذلك المجد الاثيل ، الذي استحكم بنيانه على ايدى رجاله العاملين ، وأبنائه البارين العادلين .

وجاء دور السقوط والاضمحلال ، وحل فصل الشتاء الذي كسفت شمس يومه ، وافل نجم سعده ، وخسف بدر ليله ، وتبدلت سحب سمائه ، وتكاثفت غيومه ، وقصف رعده وخلب برقه ، وعصفت ريحه ، وتبدلت الارض غير الارض ، واشتعلت

نار الفتن و تاجج لهيبها بين العرب و البربر في الاندلس ، و ضعف عمالها على اخماد اوارها ، وانفجر بركانها بخراسان ، اذ كانت بعيدة عن مركز الدولة ، وقد قام فيها ابو مسلم الخراساني ، يبث دعوة ابي العباس السفاح في المطالبة بالخلافة لآل البيت ، وكان سلاحهم الدين لانه زمام العامة ، وقد تغافل عنه خلفاء بني أمية ، واصبح ملوك الدولة في مازق ضيق لا يستطيعون الخروج منه ، اذا انخلدوا الى الترف والشهوات ، ومالوا الى اللهو والملذات ، وغيروا النظم التي سار عليها اوائلهم واسلافهم ، وصاروا لا يسوسون الرعية بسياسة حق وعدل ، وقصروا همهم في الملك على الرئاسة ، والتسلط على رقاب الناس ، فجر ذلك الى انقسام العرب الى قبائل وانقسام الدولة الى عصبيات وطنية ، واضطر هذا الانقسام الخلفاء الى استكثار الاموال ، وتثقيل كواهل الرعية بالضرائب المرهقة ،

لانفاقها في اجتذاب قلوب رؤساء الحركات ، وقواد الثورة ، فزادهم عملهم هذا سخطا من الرعية ، وزاد الطين بلة ان بالغوا في التعصب للعرب ، وامتهان غيرهم من الموالي وأهل الذمة ، فاصبح هؤلاء يتحينون الفرص للانقضاض عليهم ، واسترجاع مجدهم المسلوب . . .

فكانت هذه الاسباب كلها مؤذنة بسقوطهم وانحلال دولتهم وقيام بني العباس مقامهم . . . وقد فتك هؤلاء ومثلوا بهم أشنع تمثيل . . . وما هذا إلا من سوء سلوكهم ، وعدم قيامهم بالملك احسن قيام ، حتى ادت بهم هذه الدواعي الى الخراب والدمار . . وما وجدت هذه الاسباب في اية دولة الا قادتها الى الفناء وذهاب السيادة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » صدق الله العظيم .

الدولة العباسية

... ولكن سرعان ما نكصوا على اعقابهم، ونادي المنادي على الدولة العباسية بالسقوط النهائي ... وبهجوم التتار على مركز الخلافة وعاصمة الاسلام بغداد ...

قامت الدولة العباسية اثر انهيار الدولة الاموية ، وانتهزت فرصة تدهور أخلاق خلفائها ، واهمالهم لتفقد أحوال رعيتهم ، واعتمدت في ذلك على عناصر قوية مكنتها من نزع زمام الخلافة من الامويين وارجاع الملك للعباسيين ، والى القارئ الذكي بعض هذه العناصر :

١) انتساب الطالبين بها لال البيت — وهذا أساس متين ارتكزت عليه الدولة العباسية في بادئ امرها ، والفت انظار الرعية إليها ، اذ أن الامويين ليسوا من آل البيت ، وجل الناس يرون انحصار الخلافة في آل البيت النبوي ، سواء العباسيين او العلويين ، غير أن السواد الاعظم من الرعية كان بجانب العباسيين فلذلك كان لدعوتهم آذان صاغية ، وقلوب واعية ، والسنة بالتاييد ناطقة ، وجوارح للعمل ناهضة ، وارواح في هذا السبيل مزهقة

ودماء لهذه الغاية مهدرة .

٢) ومما اعان العباسيين على توسيع نطاق دعوتهم بين العرب والعجم تمسكهم بالدين ، لانهم سبروا عقول العامة فوجدوها لاتنقاد الا للدين ، ولا تظاهر لا المعتصمين بحبله المتين ، والامويون قد زاغوا عن منهجه ، وحادوا عن تعاليمه ، واتبعوا قوانينهم الوضعية وظلوا يحكمون على الناس أحكاما قاسية استجابة لافكارهم الضالة ، وشهواتهم الدنيئة ، وصاروا يسخرون باحكام القرآن ، ويزدرون بالدين احياناً ، ويكفي العامة ما قام به الوليد من العبث بالقرآن والتمزيق للمصحف .

٣) اعتمادهم على العجم واغتنامهم لنتائج الثورات التي كثيرا ما اوقد نارها الشيعة والخوارج في وجوه بني أمية ، حتى كادوا يقضون اركان الدولة الأموية ، ويسلبون منها شعار الخلافة وما

نشاط أبي مسلم الخراساني في الاوساط العربية و العجمية الازعامة حقيقية في نقل الخلافة من الامويين الى العباسيين ، و لهذا يعتبر التاريخ أن لابي مسلم اليد البيضاء على الدولة العباسية و خلفائها .

٤) انغماس أمراء بني أمية في الملذات ، و انقيادهم لسلطان المجون و الشهوات ، و اكثارهم للجواري الجميلات ، و افعامهم قصورهم بالمغنيات و الراقصات .

كل هذه الاسباب وغيرها أدت بالأمويين الى السقوط والفناء ، وساعدت العباسيين على الظهور والانتصار ، وقام عبد الله السفاح أول خليفة للدولة العباسية بسيفه وسوطه لاخماد الفتن و القبض على الثائرين ، وقطع دابر الطامحين للامرة ، و استئصال قواد كل ثورة ، وركب متن الجد و الحزم لاجتثاث الأمويين وقلع عروقهم من تلك الربوع ، حتى يستتب الأمن ، ويعم

السلام البلاد ، ويسرع جميع الناس باعلان البيعة لابي العباس ويتقدم الشعراء بمديحهم المعهود فيهم الى بني العباس ، ويجهر العلماء والأدباء بطاعتهم اليهم ، ويتجمهر وفود القبائل حول قصرهم طالبين رضاهم ، وناشديهم وضع سيوفهم ورفع سياطهم والكف من انتقامهم .

وعلى هذا المنوال تلاه بعده أبو جعفر المنصور وهرون الرشيد ومن خلفهم حتى استقر حال الدولة العباسية ، وتوجهت اذ ذاك لصد الطامعين وغزو الاعداء ، واتسع الفتح الاسلامي في عهدها اتساعا منقطع المثال ، وانتصر الاسلام في طورها انتصارا عديم النظير وعم نفوذها جميع ممتلكات الاسلام ، ماعاد الاندلس وظلت في عنفوان شبابها مزدهرة باسمة ، معتزة بعدتها وعتادها .

. . . وجاء دور الضعف والفتور وادركتها السآمة

والفشل ؛ ودب اليها العجز والكسل ؛ وسرى فيها داء الفساد والاغلال ، واغتنم كثير من الامراء هذه الفترة من الزمن فرصة سانحة لاعلان استقلالهم بما تحت ولايتهم ، واشتدت معارك حامية الوطيس بين الأمراء وخلفاء الدولة ؛ ولكن لوفرة الثائرين لم يستطع الخلفاء — على ضعفهم — أن ينتصروا على المنشقين عن الخلافة ؛ فرضوا بان يستقل الولاة بتلك الجهات ، ويبقى لهم اسم الخلافة فحسب

***

... ثم أقبل طور الانتعاش واليقظة ، وابعدت القوة المسلطة على الخلافة من طرف بني بويه ؛ فقاموا بنشاط لاسترجاع دولتهم ، واحياء مجدهم ؛ ولكن سرعان ماتكصوا على اعقابهم ؛ ونادى المنادي على الدولة العباسية بالسقوط النهائي ، والفناء الذي

لاقيام بعده ؛ بهجوم التتار على مركز الخلافة وعاصمة الاسلام بغداد .

واليك أيها القارئ النبيه اهم دواعي سقوط الدولة العباسية :

(١) قيامها فى أول أمرها على كواهل العجم وغيرهم ، واهمال عنصر العرب ، وتضييق الخناق عليه ومناضلته اينما وجد ومتى عثر عليه .

(٣) ذلك النزاع الذي نشب بين الأخوين — الامين والمامون — على الخلافة ؛ هو الذي وسع آمال العجم ، واثار فى نفوسهم الطموح الى الدولة .

(٤) تلك الغلطة السياسية التي ارتكبها المعتصم بتكوين جيش من الاتراك لحماية الدولة . وتوسيع نطاقها بالفتوح ، واستغنائه عن العصبية العربية وابعاده للعرب عن قصر الخلافة .

(٥) انهماك الخلفاء في الشهوات ؛ واستجابتهم لما طلبته نفوسهم من الرغبات ؛ وتعذيبهم للعلماء وائمة الدين .

***

كل هذه الدواعي وغيرها كانت الطامة الكبرى والضربة القاسية التي قضت على الدولة العباسية ، ومهما وجدت كلها او بعضها في اية امة او دولة الا هوت بها الى الدرك الاسفل ، وحق عليها قوله تعالى :

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » الاية .

فلتكن على بصيرة ايها المسلم ، وتستنتج ممن سبقك عبرة ؛ ولتاخذ حذرك وعدتك ؛ حتى لا تقع فيما وقع فيه بعض اسلافك ولتذد عن عزتك وقوميتك ، وتحافظ على مجدك وسيادتك ...

— ٥ —

القسم الأدبي

أيها القارئ الذكي تقرأ في هذا القسم فصلين : احدهما في الوصف ، وثانيهما في القصة .

أعتمدت فيهما الواقع الملموس الذي يتاثر له كل ذي لب وعاطفة .

متسول

اه . تبا لك ايتها الدنيا !

ترفعين قوما وتضعين اخرين .... وتعزين انفارا وتذلين ملايين ... يالسوء حظ الفقير! وا مصيبتاه .! ان ذلك المسكين لجدير بالشفقة والحنان .....

كلما

خرجت من غرفتي متجهها الى اية ناحية من النواحي ؛ اعترضني ذلك البائس المسكين يجول الطرقات ؛ ويبسط راحتيه الى المارين ؛ فى ثياب رثة ، كثيرة الرقع والخرق لم يستطع امساكها ؛ اذ اصبحت كلها خيوطا متدلية من عنقه الى ركبتيه ؛ وظل عاري الصدر والكتفين ، لم يجد ما يستر به جسده ، ولا ما يسد به رمقه ؛ واستمر فى طريقه يقف امام كل دار ، ويتضرع بكلمات تتصاعد من أعماق قلبه المكلوم شأن كل فقير بائس ؛ قد دفعته فاقته الى الطمع والتذلل أمام كل انسان ، يقضي طول نهاره وكامل ليله يكابد المشقات ؛ ويغالب النكبات ؛ ويصارع الخطوب والويلات ، لكنها تتغلب عليه فى كل آونة واخرى لكثرة انصارها ، ووفرة جندها ؛ فلا يجد ما يقاوم به الا دموعه المترقرقة على خديه ؛ ويستغيث فلا تستجيب

له الا تاوهاته الحارة، وزفراته الخانقة ؛ اذا ادركه الليل اضطجع كيف ما اتفق ، في اي منعرج من منعرجات الشوارع ؛ لايبالي قذارة المكان . . . ولاتاخذه سنة الا بعد هواجس خطيرة تمر على أفكاره . . . ولا ينام الا بعد تعب شديد . . . . ويستغرق في نوم يابى الدهر الا ان يصب عليه فيه صنوف المزعجات ، فتصور له احلامه بانه في بحر زاخر يتخبط في امواجه ، ولا احد ياخذ بيده وآونة يرى في عنقه ربقة قد ضيقت عليه الخناق ، حتى كادت تاتي على آخر رمق من حياته ؛ وطورا يجد نفسه بين براثن اسد فاتك يريد أن ينشب فيه انيابه القاضية ؛ وهكذا دواليك ، حتى توقظه من همه فواجع احلامه ؛ فيستيقظ منزعجا مدهوشا منهوك القوى . وماذلك الا من سوء حظه في يقظته وحتى فى منامه ؛ يعيش غريبا في وطنه ؛ منبوذا بين قومه وعشيرته ؛ محاطا من كل

جانب بالاخطار ؛ مهددا في كل وقت من اوقاته بالبلايا ؛ صامدا لصدمات الدهر ورزاياه ؛ مرددا قول أبي الطيب المتنبي :

رماني الدهر بالارزاء حتى

فؤادي في غشاء من نبال

فصرت اذا اصابتني سهام

تكسرت النصال على النصال

آه ، آه ، آه ، . تبا لك ايتها الدنيا ! ترفعين قوما وتضعين آخرين . وتعزين انفارا وتذلين ملايين ؛ يا لسوء حظ الفقير ! وا مصيبتاه . . . ! انه لمنظر يحدث بين جنبي هما يعتلج ، ونارا لا يخبو اوارها . . .

ان ذلك المسكين لجدير بالشفقة والحنان . . . ؟ . . وقمين بان نشاركه في باساءه وضرائه . . . ونشاطره في اتراحه . . .

ونقاسمه آلامه التي يفوه بها لسانه ..... ويردد صداها صدره ... انه لمحتم علينا ان نفكر فى الوسائل التي يمكننا بها انقاذه من اغلال المصائب والمحن ؛ ليستطيع الحياة ويذوق طعم الهناء والسعادة .

... وهذا لا يتحقق الا اذا وجه اغنياؤنا عنايتهم الى هذه الناحية ، واجتهدوا فى سد ثلمتها ، وقلع جذور هذا الداء الوبيل باعطائهم بعض الاموال التي رزقهم الله بها ، وجعل للفقراء نصيبا فيها ؛ فاوجب عليهم الزكاة ؛ وامر الرسول صلى الله عليه وسلم باخذها منهم وصرفها للمحتاجين اليها اذ قال :

« خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » الاية .

لئلا يضيع الفقراء ويشتكوا الجوع والعري ؛ لذا كانت التبعة عليهم ، لانهم هضموهم حقهم ، ولم يمكنوهم من حظهم الذى

جعله الله لهم على ايديهم ؛ وعاهدوه على ان يوفوا بحقوق المساكين فاخلفوا ؛ فحق عليهم العذاب وكانوا من الخاسرين. (١)

---

(١) يجد القارئ الكريم حديثا آخر حول هذا الموضوع في الجزء الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله

تنبيه

لقد طرحنا موضوع القصة من القسم (الادبي) لعدم مناسبتها للظروف

التنويه بالكتاب

اليك ايها القارئ النبيه التقاريظ التي وصلتنا من بعض ادبائنا الفطاحل في التنويه بكتابنا الوضيع ؛ والتعبير عما ترك في قلوبهم من اثر حسن .

ونحن نرفع لهم ولجميع مؤيدينا وقرائنا اعظم الشكر واوفر الثناء . وفي مقدمتهم مقدم الكتاب للجمهور الاديب البارع الاستاذ احمد رضا حوحو ؛ وصاحب الرسوم والعناوين الاستاذ السعدي حكار . وجريدتنا (البصائر) الغراء التي شاركت بدورها في التنشيط والتشجيع بنشر عدة مقالات من كتابنا على صفحاتها الممتازة .

رسالة صاحب الاهداء الاستاذ

الطاهر المبعوج

حمدا وصلاة وسلاما

الاديب الاريب الشاب العامل الشيخ عبد الجيد الشافعي سلام الله ورحماته كفاء وفائك ، وبركات منه تمرع واديكم وتغمر ناديكم .

وبعد فقد تصفحت كراريس كتابكم الذي تنوون ابرازه تحت اسم « خواطر مجموعة » واجلت النظر — وان كان سريعا — فى تلك المقالات المفيدة الممتعة ، فرايت رياضا مونقة تبهج وتطرب ، ومجالس وعظ واصلاح تسر وتعجب ، فيها عرض لادوائنا الاخلاقية ، وكشف لامراضنا الاجتماعية ،

وتشهير بالتقليد الاعمى والاخطاء الدينية لشبيبتنا الاسلامية ، وفيها لتلك الادواء والامراض ادوية ناجعة من الكتاب والسنة احضرت ، ولذلك التقليد وتلك الاخطاء توجيه وتقويم من هدى النبوة والسلف الصالح اقتبست .

والله نرجو ان ينفع بها وبك البلاد والعباد انه سميع مجيب الدعاء .

تونس ٥ شوال ١٣٧١

٢٧ جوان ١٩٥٢

الطاهر المبعوج

تقريظ الشاعر الجزائري الفذ الاستاذ

محمد العيد بن محمد علي

اعمل ولا تفشل ...

اهلا وسهلا بالاديب « الشافعي »

وكتابه العذب البيان النافع

اتحفتنا « بخواطر مجموعة »

قد اسفرت مثل الهلال الطالع

عالجت فيها من مشاكل شعبنا

عقدا وجئت لها بحل قاطع

وفحصت عن امراضنا متطببا
واتيت فيها بالدواء الناجع
ان الجزائر انجبتك مثقفا
ذا خاطر يقظ وفكر واسع
رضت الكتابة في الشباب فاسلست
لك واستهلت بالبيان الرائع
ليت الجزائر تحتفي بشبابها
ادبا وتعنى بالنبوغ الضائع
يشقى الاديب ولا يرى لشقائه
من راحم ولقوله من سامع
فاعمل ولا تفشل بحقلك وانتشق
عرقا الرجاء ولا تكن بالجازع

«الطاهر المبعوج» بثـك نـوره
فرجعت منه بمشعل لك ساطـع
لا بدع ان يلقى يراعك فسحة
فتكون «كالعقاد او كالرافعي»
طر بـالخيـال مجنحا ومحلـقا
فى كل افـق واعتضـد بالـواقـع
واطمح بطرفك للعـلا متفائـلا
بمكانـة عـظمى وصيت ذائـع

عين مليلة — محمد العيد بن محمد علي

فى ٢ محرم الحرام ١٣٧٢ هـ
فى ٢٤ سبتمبر ١٩٥٢ م

رسالة الاستاذ العربي الكبادي

الحمد لله

أيها الاديب الاريب

قرأت ما خطه قلمكم السيال و تاملت في المواضيع التي وقع عليها اختياركم فاعجبني الاختيار اعجابي بحسن تحريركم الذي سلكتم فيه مسلك الكتاب الذين لم تلحق اقلامهم لوثة العجمة . واني ابشركم بمستقبل زاهر في هذه الصناعة اذا و اليتم سلوككم هذا ، فالمثابرة روح النجاح . والله يحرسكم ويمدكم من فضله بما ترغبون .

والسلام

تونس ٢ صفر ١٣٧٢ هـ

٢٠ اكتوبر ١٩٥٢ م

العربي الكبادي

فهرس الكتاب

ص

٥ المقدمة
١٠ الى القارى
١٦ حدثني البحر
القسم الديني
٢٦ الزكاة
٣٩ الحج
القسم الاخلاقي
٥٠ الاعتماد على النفس
٥٧ التضحية
٦٤ الاخلاص
٧١ حلم الرسول وعفوه
القسم الاجتماعي
٧٩ واجبات الشباب
٨٥ الصحافة

ص

٩٠ الزواج
٩٧ الزنا
١١٠ السفور
١١٩ المرأة المسلمة
١٣٦ الجلوس في المقاهي
القسم التاريخي
١٤٦ سقوط الدولة الاموية
١٥١ الدولة العباسية
القسم لادبي
١٦١ متسول
التنويه بالكتاب
١٦٨ رسالة صاحب الاهداء
١٧٠ تقريظ شاعر الجزائر
١٧٣ رسالة الاستاذ الكبادي

صواب بعض الاخطاء

ص	س	صواب	خطاء
٧	٦	جذلان	جذلانا
١٧	١١	قواي	قواى
١٨	٧	يدي	يدى
٢٢	١٢	اولئك	لولئك
٣١	٨	عظيما	عظيم
٣٤	١	كابوس	كاوس
٣٦	١٠	زال	زل
٣٨	٤	وعلموا	واعلموا
٧٩	٢	تحت	نحب
٨٥	٤	مجرمين	مجرمي
١١٠	٣	المستهترين	لمستهترين

للمؤلف

الطالب المنكوب — مطبعة الشريف تونس

خواطر مجموعة جزء اول — المطبعة الجزائرية قسنطينة

« « جزء ثانى — معد للطبع

المطبعة الجزائرية الاسلامية

بنهج الشيخ عبد الحميد بن باديس عدد ٣٣

قسنطينة

شعارها

«النظام و الاتقان»

مستعدة لطبع الكتب و الجرائد و المجلات

وجميع انواع المطبوعات

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074328038